الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ٢٨ يوليو ٢٠٢٤ ٢٢ محرم ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 02

أحمد الصغير يكتب:

السنوار فى الميزان

محمد السيد صالح:

التطور الطبيعى للمتحدث الرسمى

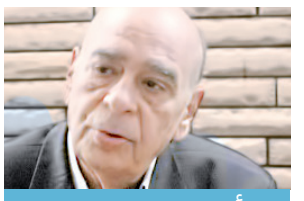

د. أحمد الخميسى:

الصور التى لم نرها.. الأقوى فى الذاكرة

د. محمد عفيفى:

الحرب بسيف التاريخ

محمد عبدالعزيز:

ليلة «ساهرة» للفصحى وللرقى.. فى العلمين

ماجد حبته:

روح ٢٣ يوليو

العيال فهمت

إبراهيم عبدالفتاح وإبراهيم داود يكتبان عن مسرحية ضد الاكتئاب

د. صفاء النجار:

جراجات شاطئية تطعن عقلى

هؤلاء يكتبون عن الانتخابات الأمريكية

أحمد بهاء الدين

كريمة الحفناوى

حمدى البطران

خالد حريب

حسين دعسة

اللعبة المعكوسة

من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية القادم؟

حسين دعسة

فى التحولات الدراماتيكى فى الشارع الأمريكى، طغت التقارير المتباينة التى رجحت حصول نكسة سياسية وربما أمنية، بتدخل الإدارة الأمريكية العليا مع المخابرات والبنتاجون، بالذات بعد ما يتردد عن «نكسة صحية مفاجئة»؛ طرأت فى الأيام الأخيرة على صحة الرئيس الأمريكى جو بايدن دون تفاصيل معلنة. لهذا السبب، ونتيجة الضغوط التى يمارسها الهيئة التى تقود حملة الحزب الديمقراطى نحو صناديق الاقتراع، فى ظل منافسة شرسة من الحزب الجمهورى، ترشح ترامب وسيناريو بدائل مَن سيخوض الانتخابات الرئاسية بعد أشهر، من حزب بايدن الذى يحاول النجاة فى وقت تتصارع فيه أقطاب من قيادات الحزب الديمقراطى، منهم نائبة الرئيس كمالا هاريس، التى حظيت بدعم بايدن فى الوقت الحرج، واليوم ظهرت تحليلات إمكانية طرح اسم هيلارى كلينتون.

اللعبة المعكوسة.. من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية القادم؟

من جهتها، أشادت نائبة الرئيس كامالا هاريس بالقرار «الوطنى» الذى اتخذه الرئيس جو بايدن؛ بعدم الترشح لولاية ثانية، وتعهدت بالفوز بترشيح الحزب الديمقراطى وهزيمة دونالد ترامب.

الموقع الإلكترونى الأمريكى «ذا هيل»، المقرب من البيت الأبيض، قال بطريقة مفاجأة: «هيلارى كلينتون هى المرشحة الأكثر ملاءمة لتحل محل بايدن»، وذلك نقلًا عن شبكة «فوكس نيوز» الأمريكية بأن مستخدمى مواقع التواصل الاجتماعى تفاجأوا بمقال رأى جديد نشرته «ذا هيل» يتحدث عن هيلارى كلينتون كبديل للرئيس جو بايدن فى السباق الرئاسى.

الكاتب المحلل « بابلو أوهانا» قال فى مقاله الذى نشر، قبل يوم من إعلان انسحاب بايدن: «مستعدون للجولة الثانية: لماذا نحتاج إلى هيلارى أكثر من أى وقت مضى؟»، مؤكدًا أن وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة التى كانت قد خسرت الرئاسة أمام الرئيس السابق ترامب عام ٢٠١٦، هى الشخص الأكثر ملاءمة ليحل محل بايدن مع تشديد الدعوة إليه لتعليق مسألة إعادة انتخابه.

ويضيف الكاتب أن الحجة الأقوى ضد استبدال الرئيس جو بايدن كمرشح ديمقراطى لانتخابات ٢٠٢٤ هى فكرة عدم وجود خليفة مناسب، ولكن هناك خليفة مناسب وليس مجرد خليفة جيد، بل واحد من أكثر الأشخاص تأهلًا على الإطلاق للترشح لهذا المنصب هو «هيلارى كلينتون».

هنا، يبدو أن المناقشات السياسية والأمنية، التى تناولت مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية، وشخصية الرئيس الآتى إلى البيت الأبيض، وبعض من الحوارات كانت علنية، بخصوص ترشيح بايدن، من عدمه، وقد حسم الأمر، فى ظل أحداث وظروف دولية، وقد دعا الديمقراطيون بايدن مرارًا وتكرارًا إلى اتخاذ القرار، الذى تم بهدوء وترقب.

■ تم الإعلان عن سحب ترشيح بايدن، وطفا إسناد هاريس كلينتون بطريقة فيها عدة اعتبارات لاحظت أن الإعلام الأمريكى والدولى، تناول انسحاب بايدن، بما وصف مؤشرات فوضوية، وربما جاءت مرحلة من انقلاب ما على مستقبل الرئاسة الأمريكية التى تترك فى المكتب الرئاسى فى البيت الأبيض، ملفات أزمات وحروب دولية، الحرب الروسية الأوكرانية، الحرب العدوانية الإسرائيلية العنصرية على غزة ورفح، الصراع الصينى الأمريكى، وضع تايوان والعلاقات الساخنة مع كوريا الشمالية، وحال المنطقة والإقليم عربيًا وإسلاميًا.

وهنا أيضًا كان واضحًا، ما صرح به الرئيس الأمريكى الأسبق باراك أوباما، فى إشادته بقرار الرئيس بايدن الانسحاب من السباق الرئاسى لكنه حذّر من «آفاق مجهولة» فى المسار نحو استحقاق الخامس من نوفمبر، وهذا أمر استراتيجى خطير ألمح إليه أوباما، الذى يعى موقف الإدارة الأمريكية من إرث الرئيس بايدن السياسى والأمنى، والدعم اللا متناهى للحرب العدوانية الإسرائيلية المستعرة على غزة ورفح والشجاعة والنصيرات، والضفة الغربية والقدس والداخل المحتل، من زاوية تأثيراتها على صورة الديمقراطية فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والمجتمع الدولى.

مسارات الانتخابات الرئاسية

فى هذا السياق، ليس سرًا أن الانتخابات الرئاسية فى الولايات المتحدة، وإن لم تبلغ حملاتها مرحلة «الذروة» بعد، فى ظل انشغال العالم بأزمات المنطقة وحروبها، تنذر بحذر من تغيرات «داخلية» قد تشغل الولايات المتحدة فى السنوات المقبلة وهو ما تجلى فى مستوى «الخطاب» الذى رُصِد فى المرحلة الأخيرة، وما بات يصطلح على وصفه بحالة «التوتر وغياب المرجعية» للحزب الديمقراطى، الذى أظهر أنه يشهد انقسامًا على خلفية انسحاب بايدن.

نظام انتخاب الرئيس فى أمريكا

عمليًا: ستشهد الولايات المتحدة ضمن، السباق والتظاهرة الديمقراطية، صراعًا قصير الأجل، قد يغير كل الحسابات الجيوسياسية الأمنية، حالة من الترقب، مجرياتها العالم أجمع وليس فقط الشعب الأمريكى.

وتتم عملية انتخاب الرئيس الأمريكى من خلال عدة مراحل، ضمن نظام انتخابى يعد فريدًا من نوعه، بل من أعقد النظم الانتخابية فى العالم رغم سهولته الظاهرية.

دون شك، فى مسار الانتخابات الرئاسية، لدينا فى الإرث القانونى، الدستورى الجوانب المختلفة لهذا النظام الانتخابى من خلال النقاط التالية:

«١» قواعد انتخاب الرئيس فى الولايات المتحدة الأمريكية:

١:

يشترط فيمن يترشح لمنصب رئيس الولايات المتحدة أن يكون من مواليد الولايات المتحدة الأمريكية، وألا يقل عمره عن ٣٥ عامًا، وأن يكون مقيمًا فى الولايات المتحدة الأمريكية لمدة ١٤ سنة على الأقل.

كما يشترط توافر نفس الشروط فيمن يترشح لمنصب نائب الرئيس، إضافة إلى شرط عدم جواز أن يكون نائب الرئيس من نفس الولاية التى ينتمى إليها الرئيس وذلك بموجب التعديل الثانى عشر للدستور الأمريكى.

٢:

ويتم انتخاب الرئيس الأمريكى ونائبه كل أربع سنوات. وخلافًا لما يعتقده الكثيرون فإن الناخبين الأمريكيين لا يقومون بانتخاب رئيسهم مباشرة، بل يتم حسم الانتخابات عن طريق الهيئات الانتخابية أو المجمع الانتخابى «Electoral College» التى تتكون من ٥٣٨ مندوبًا. وهذا العدد يوازى عدد أعضاء الكونجرس الأمريكى بمجلسيه النواب والشيوخ، علاوة على ثلاثة أعضاء من مقاطعة كولومبيا التى توجد بها العاصمة واشنطن على الرغم من أنها لا تملك أى تمثيل انتخابى فى الكونجرس. حيث يكون لكل ولاية أمريكية داخل هذا المجمع الانتخابى عدد معين من الأصوات حسب عدد سكانها وعدد النواب الذين يمثلونها فى الكونجرس.

فعلى سبيل المثال: يكون لولاية كاليفورنيا، وهى أكبر الولايات الأمريكية من حيث عدد السكان، ٥٥ مندوبًا فى المجمع، فى حين يكون لولاية فلوريدا ٢٧ مندوبًا، بينما يكون لولاية كارولينا الشمالية ثلاثة مندوبين فقط. ويحتاج الفائز بمنصب الرئيس من بين المرشحين إلى الحصول على ٢٧٠ صوتًا على الأقل من مجموع أصوات أعضاء الهيئات الانتخابية «أو المجمع الانتخابى».

٣:

تجرى الانتخاب وفقًا لقاعدة أن الولاية تعتبر دائرة انتخابية واحدة، بحيث أن المرشح الذى يحصل على أغلبية أصوات الناخبين فى إحدى الولايات يحصل على جميع أصوات أعضاء المجمع الانتخابى الممثلين لهذه الولاية بغض النظر عن نسبة الأصوات الشعبية التى حصل عليها فى تلك الولاية، فعلى سبيل المثال: إذا حصل أحد المرشحين على أغلبية بسيطة فى ولاية كاليفورنيا، فإنه يفوز بجميع أصوات المجمع الانتخابى للولاية البالغ عددها ٥٥. وذلك باستثناء ولايتى نبراسكا وماين، اللتين تطبقان نظامًا نسبيًا. بحيث يحصل كل مرشح على عدد من أصوات أعضاء المجمع الانتخابى يتناسب مع عدد ما حصل عليه من أصوات الناخبين.

> كان واضحًا، ما صرح به الرئيس الأمريكى الأسبق باراك أوباما، فى إشادته بقرار الرئيس بايدن الانسحاب من السباق الرئاسى لكنه حذّر من «آفاق مجهولة» فى المسار نحو استحقاق الخامس من نوفمبر

٤:

يتمتع بحق الانتخاب كل مواطن أمريكى بلغ سن الثامنة عشرة، شريطة أن يستوفى شروط الإقامة المفروضة فى الولاية التى يتبعها التى تختلف من ولاية إلى أخرى، وأن يلتزم بالمواعيد النهائية المحددة لتسجيل الناخبين.

٥:

كيفية تشكيل الهيئة الانتخابية «المجمع الانتخاب»:

■ **أولا:**

الهيئة الانتخابية هى تقليد دستورى أمريكى يعود للقرن الثامن عشر. ويقصد بها مجموعة المواطنين الذين تعينهم الولايات للإدلاء بأصواتهم لانتخاب الرئيس ونائبه نيابة عن جميع المواطنين فى الولاية. لذلك فإن الهيئة الانتخابية تمثل نموذجًا لإجراء انتخابات غير

اللعبة المعكوسة.. من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية القادم؟

مباشرة، وذلك خلافًا للانتخابات المباشرة التى تتم من قبل مواطنى الولايات المتحدة الأمريكية لاختيار أعضاء مجلس النواب.

■ **ثانيًا:**

تختلف عملية اختيار أعضاء الهيئة الانتخابية من ولاية إلى أخرى، ولكن تقوم الأحزاب السياسية عادةً بتسمية أعضاء الهيئة الانتخابية خلال مؤتمرات حزبية أو من خلال التصويت فى اللجنة المركزية للحزب.

ويتم تعيين الهيئة الانتخابية من قبل كل ولاية استنادًا إلى الدستور الأمريكى والمجلس التشريعى لكل ولاية على حدة. حيث يقوم الناخبون فى كل ولاية باختيار أعضاء الهيئة الانتخابية فى يوم إجراء الانتخابات العامة. لذلك فإنه، من الناحية الفنية، يكون المجمع الانتخابى، وليس الناخبون، هو من ينتخب الرئيس، وذلك مع ملاحظة أن عمليتى التصويت مرتبطتان بشكل وثيق.

■ **ثالثًا:**

إدارة عملية انتخاب الرئيس فى الولايات المتحدة الأمريكية:

■ **رابعًا:**

تتولى كل ولاية أمريكية، بنفسها، مسئولية تنظيم وإدارة عملية انتخاب الرئيس. حيث تقوم كل ولاية بتعيين مدير انتخابات تناط به مهمة فرز أصوات الناخبين. أما مهمة تنظيم الانتخابات فإنها تناط بالدوائر الانتخابية فى كل ولاية، حيث تضع هذه الدوائر ضوابط الاقتراع وتحدد أوقات فتح مراكز التصويت وإقفالها، كما تحدد طريقة التصويت: إلكترونى أو تقليدى «يدوى».

■ **خامسًا:**

أما من الناحية المالية، فإن هذه الانتخابات تكلف بعض الدوائر الانتخابية ملايين الدولارات، حيث تتحمل الولايات عبء تمويل الانتخابات، ولا تحصل إلا على دعم ضئيل من الحكومة المركزية.

■ **سادسًا:**

مراحل انتخاب الرئيس فى الولايات المتحدة الأمريكية:

■ يتم انتخاب الرئيس فى الولايات المتحدة الأمريكية عبر عدة مراحل، تبدأ بانتخابات التصفيات داخل الأحزاب السياسية وتنتهى بمرحلة انتخابات الهيئة الانتخابية. وذلك على النحو التالى:

■ المرحلة الأولى: وفيها يشكل الراغبون فى الترشح لجنة استكشافية «أو لجنة استطلاع» لحشد التأييد لأنفسهم بين أنصارهم فى الحزب، ويحصلون على ضمانات من المانحين بتقديم إسهامات مالية لحملاتهم الانتخابية. وإذا اعتقدوا أنهم يتمتعون بتأييد يكفى لخوضهم الانتخابات يخطرون السلطات الفيدرالية باعتزامهم ترشيح أنفسهم، لتأتى بعد ذلك عمليات جمع الأموال وخوض سباق الانتخابات الحزبية.

■ المرحلة الثانية: وفيها يتم اختيار مرشح الحزب الذى سيخوض الانتخابات الرئاسية أمام مرشحى الأحزاب المنافسة. حيث يتعين على الناخبين المؤيدين لأحد الأحزاب السياسية أن يختاروا مرشح الحزب من بين عدد من مرشحى هذا الحزب.

■ وتبدأ الانتخابات التمهيدية «التصفية» فى الولايات الأمريكية فى شهر يناير من عام الانتخابات، حيث يخوض المرشحون منافسة ضد زملائهم من أعضاء نفس الحزب للفوز بترشيح الحزب لخوض الانتخابات الرئاسية.

ويقوم أعضاء وفود الحزب القادمة من الولايات المختلفة والمشاركة فى المؤتمر القومى للحزب الذى يعقد عادة فى الصيف باختيار المرشح النهائى للانتخابات. وفى انتخابات التصفيات يختار الناخبون أعضاء هذه الوفود الذين يعلنون غالبًا تأييدهم لمرشح معين، ويحتاج المتنافسون على ترشيح الحزب إلى أغلبية من هؤلاء الأعضاء فى مؤتمر الحزب للفوز بالترشيح.

وتستخدم بعض الولايات مثل «ولاية أيوا» نظام المؤتمر الحزبى بدلًا من نظام انتخابات التصفيات لاختيار أعضاء الوفد الذى سيمثل الولاية فى المؤتمر القومى للحزب. وفى انتخابات

التصفيات يختار الناخبون الأعضاء الذين يؤيدونهم أما فى ولايات نظام المؤتمر الحزبى فيتم اختيار الأعضاء عبر عدة مراحل.

■ المرحلة الثالثة: وفيها يتم تنظيم مؤتمرات الأحزاب، التى تعد واحدة من أكثر الأحداث إثارة فى السياسة الأمريكية. حيث يصل وفد كل ولاية إلى القاعة التى يعقد فيها المؤتمر القومى للحزب يحمل لافتة عليها اسم مرشح الحزب الذى يتمتع بتأييده. وعادة يكون الحزب قد كون فكرة عن مرشحه لخوض الانتخابات الرئاسية بحلول هذه المرحلة. ويقوم وفد كل ولاية باختيار مرشحه لخوض الانتخابات الرئاسية رسميًا.

ويفوز بترشيح الحزب المرشح الذى يختاره أكبر عدد من الوفود، كما يحصل على دعم منافسيه داخل الحزب أيضًا، ثم يقوم المرشح الفائز باختيار نائب له يخوض معه حملته الانتخابية.

■ المرحلة الرابعة: وفيها يكشف المرشحون المتنافسون من الأحزاب السياسية الأمريكية المختلفة تركيزهم على الحملة الانتخابية. وتعاد صياغة سياسات كل مرشح لتأخذ فى الاعتبار مطالب أنصار منافسيه السابقين داخل حزبه. وهذه المرحلة من سباق الانتخابات تستغرق وقتًا أقصر مما تستغرقه انتخابات التصفيات داخل الأحزاب.

■ وفى الأسابيع الأخيرة يركز المرشحون اهتمامهم على ما يعرف بالولايات «الغامضة». ويقصد بها الولايات التى لم يتضح بعد أى مرشحين ستؤيد فى الوقت الذى يستعدون فيه لانتخابات الهيئة الانتخابية الحاسمة.

> يتم تعيين الهيئة الانتخابية من قبل كل ولاية استنادًا إلى الدستور الأمريكى والمجلس التشريعى لكل ولاية على حدة

■ المرحلة الخامسة: ويطلق على هذه المرحلة «الانتخابات العامة»، وتجرى هذه المرحلة، دائمًا، فى أول يوم ثلاثاء يلى أول يوم إثنين فى شهر نوفمبر ويُطلق عليه «الثلاثاء الكبير». حيث يتوجه الناخبون إلى صناديق الاقتراع لاختيار مرشحهم لرئاسة البلاد. ثم تفرز الأصوات وتعلن النتائج الأولية للانتخابات، عادة، خلال ١٢ ساعة من إغلاق مراكز الاقتراع.

وفى العادة، وبعد فرز الأصوات تنتقل العملية الانتخابية إلى الهيئة الانتخابية. حيث يجتمع أعضاء المجمع الانتخابى للتصويت على اختيار الرئيس ونائبه فى أول يوم إثنين فى أعقاب ثانى يوم أربعاء فى شهر ديسمبر فى سنة الانتخاب. مع ملاحظة أنه ليس هناك ما يلزم أعضاء الهيئة الانتخابية، قانونًا، باختيار المرشح الفائز أو الاختيار وفقًا لميولهم السياسية. ومن الناحية العملية، لم يحدث أن خالف أعضاء الهيئة الانتخابية اختيار سكان ولاياتهم.

أما فى حالة عدم حصول أى من المرشحين للرئاسة على أغلبية أصوات الهيئة الانتخابية «أى ٢٧٠ صوتًا»، وأيضًا فى حالة عدم حصول أى من المرشحين لمنصب الرئيس على أغلبية أصوات الهيئة الانتخابية، يتوجب على مجلس النواب أن يقرر المرشح الفائز، حيث يقوم أعضاء مجلس النواب بالإدلاء بأصواتهم لاختيار المرشح الفائز بمنصب الرئيس، ويكون لكل عضو صوت واحد.

بالمقابل؛ فى حالة المرشحين لمنصب نائب الرئيس، فيتوجب على مجلس الشيوخ أن يقرر المرشح الفائز، حيث يقوم أعضاء مجلس الشيوخ بالإدلاء بأصواتهم لاختيار المرشح الفائز بمنصب نائب الرئيس، ويكون لكل عضو صوت واحد.

■ .. والمستقبل مجهول.

ما هو متاح أن انسحاب بايدن فتح بعض الأفق الحزب الديمقراطى لخوض تجربة إعادة النظر فى واقع وصورة الولايات المتحدة الأمريكية داخليًا وخارجيًا، مع أن أجندة البيت الأبيض فى هذه المرحلة ستشهد بعضًا من الحراك السياسى الأمنى، جوهره حال الأزمات الدولية وحزب المنطقة ما بين حرب الإبادة فى غزة، وترقب تحولات الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، الإسرائيلى العربى، إذا ما تأزمت المنطقة بتعنت السفاح نتنياهو، الذى يأتى وجوده فى العاصمة الأمريكية واشنطن، حالة مستفزة، بالتأكيد ستكون لها ضغوطها وصراعها مع الإدارة الأمريكية والبنتاجون، وربما ظهور خلافات حادة مع المخابرات الأمريكية على هامش الحرب فى غزة ورفح، رغم توقف المفاوضات لإيقاف الحرب.

كريمة الحفناوى

السياسة الأمريكية ودعم الحكومة الصهيونية

بعد قيام المقاومة الفلسطينية بعملية «طوفان الأقصى» ضد المحتل الصهيونى، فى السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، قامت الحكومة اليمينية الصهيونية المتطرفة العنصرية، بعدوان وحشى على الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة، وأيضا فى مدن الضفة الغربية، وقام الحكومة الصهيونية أمام عين العالم بالإبادة الجماعية للشعب الفلسطينى، وخاصة النساء والأطفال، وأيضًا منعت المساعدات الإنسانية من مياه وغذاء ودواء ووقود، عن قطاع غزة، ما أدى لسقوط مزيد من الشهداء، وقامت بتدمير البنية التحتية للقطاع بما فيها محطات المياه والكهرباء والمدارس والملاجئ، ومقار الوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجيئن «الأونروا» وتعمدت قتل المئات من الأطباء والصحفيين والأكاديميين، وبدأت فى تنفيذ مخططها فى التهجير القسرى للفلسطينيين، من أجل التطهير العرقى وإقامة دولة قومية يهودية خالصة.

هذا العدوان والحشى المستمر حتى الآن لعشرة أشهر أيقظ شعوب العالم على حقيقة الاحتلال الصهيونى الاستيطانى العنصرى، وعدالة القضية الفلسطينية، وحق المقاومة فى مواجهة الاحتلال، كما أيقظ الشعوب، على حقيقة المؤسسات والدول الاستعمارية الرأسمالية المتوحشة، التى تتشدق بأنها تدافع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، بينما هى تدافع عن مصلحة حكامها وتساند الكيان الصهيونى المجرم، وتمده بالمال والسلاح، وفى مقدمة هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفرنسا وألمانيا، ونتيجة لهذا خرجت شعوب العالم فى جميع الدول، ضد الكيان الصهيونى وضد حكوماتها المشاركة فى دعم هذا العدوان، وطالبوا بوقف الحرب على الشعب الفلسطينى، ووقف الإبادة الجماعية، وإدخال المساعدات الإنسانية فورًا، ومحاكمة مجرمى الحرب الصهاينة أمام المحاكم الدولية.

وأصبح هناك استقطاب حاد داخل البلدان فى كل دول العالم بين الشعوب الحرة الأبية التى تدعم الحق الفلسطينى، وبين الحكومات ومن يؤيدونهم من تكتلات المصالح التى تدعم الكيان المحتل العنصرى، والمثال على ذلك فى الانتخابات الأخيرة فى بعض الدول الأوروبية، حيث كان التصويت لصالح الأحزاب والشخصيات التى تدعم حق الشعب الفلسطينى وضد الكيان العنصرى الصهيونى.

وفى الداخل الأمريكى خرج الشعب بالملايين ضد مساندة الكيان الصهيونى بالأموال والسلاح، واتهموا الرئيس بايدن بالمشاركة فى الإبادة الجماعية للأطفال والنساء، وخرج اليهود الأمريكان المناهضون للفكرة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية، خرجوا لرفض العدوان الصهيونى على الفلسطينيين.

ونجد الآن الاستقطابات الحادة فى الانتخابات الأمريكية بين الديمقراطيين والجمهوريين، ومن وجهة نظرى أن أمريكا تحكم من خلال مؤسسات على رأسها المجمع الصناعى العسكرى، وتعمل للحفاظ على المصالح الأمريكية والحفاظ على مناطق نفوذها وتعمل على المساندة الأبدية للكيان الصهيونى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وأيضًا ينتشر اللوبى الاقتصادى الصهيونى الذى له التأثير القوى فى تمويل الحملات الانتخابية الرئاسية، ويوجد فى جانب آخر الملايين من الشعب الذين يرفضون السياسات الأمريكية الحالية (الفقراء، والسود، والملونين من الجنسيات المختلفة، وأيضًا الجالية العربية المسلمة والمسيحية، والمهجرين)، كل ذلك سيكون له تأثيره فى الانتخابات الأمريكية. وعودنا التاريخ على أن أمريكا لم ولن تتخلى عن الكيان العنصرى فى حربه على الفلسطينيين، سواء كان الرئيس من الحزب الجمهورى أو الديمقراطى، ولكن قد يحدث تغيير فى بعض السياسات الخارجية الأخرى الخاصة بالحرب الروسية الأوكرانية أو الصراع مع الصين وإيران. وهذا موضوع آخر يستحق نقاشًا طويلًا.

إن صعود تيار يمينى شعبوى أمريكى مؤيد لدونالد ترامب قد يحسم نتيجة الانتخابات الأمريكية فى نوفمبر القادم لصالح الحزب الجمهورى ومرشحه دونالد ترامب، وخاصة بعد انسحاب جو بايدن من الانتخابات الرئاسية نتيجة للأعراض الصحية الكبيرة التى يعانى منها بحكم تقدمه فى العمر، ونتيجه لنقص شعبيته نتيجة لسياساته الخارجية بدعمه لأوكرانيا فى حربها ضد روسيا، ووضع الدول الأوروبية أمام الأمر الواقع لدعم أوكرانيا ومحاولاته لتوريط حلف الأطلنطى فى الحرب ضد روسيا، بجانب فرضه للعقوبات الاقتصادية على روسيا مما تسبب فى أزمات اقتصادية للدول الأوروبية.

كما وضع بايدن ونيتانياهو العالم فى الشهور الأخيرة أمام تصعيد وتوسيع الحرب على غزة إقليميًا ودوليًا بما ينذر بحرب عالمية ثالثة وقد تكون حربًا نووية.

كل ذلك يرجح كفة دونالد ترامب الذى يقف بكل قوة لإنشاء الدولة القومية اليهودية.

وإذا كانت الشعوب تعى مصلحتها، فهل تدرس الأنظمة ماذا يدور فى العالم وتعمل لمصلحة شعوبها وبلدانها أم ستستمر فى سياسة التبعية لأمريكا لتحقيق مصلحتها على حساب تخلف بلدانها وإفقار شعوبها،؟!

وضع بايدن ونيتانياهو العالم فى الشهور الأخيرة أمام تصعيد وتوسيع الحرب على غزة إقليميًا ودوليًا بما ينذر بحرب عالمية ثالثة وقد تكون حربًا نووية

حمدى البطران

العالم تحت رحمة كابل

تغلغلت الشبكة العنكبوتية المعروفة بالإنترنت فى كل نواحى الحياة. وأصبحت جزءا لا يتجزأ من تكوين الحياة اليومية. أصبحت شريان الحياة اليومى لكل شيء، بدءًا من البنوك والمدارس وحتى الأنظمة العسكرية وأنظمة المرافق، تعتمد على الإنترنت بطريقة أو بأخرى.

كل المؤسسات التى يتعامل معها المواطن. السجل المدنى والعينى والجوازات، والبنوك، والمدارس والجامعات وأجهزة البحث، بل وأصبحت هناك مؤسسات كبرى تدار إلكترونيا، وتحولت تلك المؤسسات تدريجيا إلى جزء من تلك الشبكة الجهنمية التى صارت تتحكم فى كل شيء، مثلها مثل الكهرباء.

تعرف العلم كله على تلك الشبكة فى يناير ١٩٦٣. كان الاكتشاف موجودًا، ولكنه محصور فى نطاق ضيق تماما، مثل الكهرباء، التى اكتشفها العالم الإنجليزى مايكل فاردای عام ١٨٣١، بتمرير ملف أسلاك داخل مجال مغناطيسي. ولكن العالم لم يعرف الكهرباء إلا عندما قام توماس أديسون باختراع المصباح الكهربي. وهو الاختراع الذى أنار منازل وبيوت وشوارع ومدن العالم كله عام ١٨٤٧، وتوالى استعمال الكهرباء فى الصناعة وفى الزراعة وفى الطب وفى كل شئون الحياة.

تماما مثلما حدث فى الكهرباء، حدث مع الإنترنت، لم يكن الإنترنت مجهولا حتى تم اكتشافه عام ١٩٨٩، عندما اخترع تيم بيرنرز لى شبكة الويب العالمية وأطلق أول عميل وخادم ويب له فى عام ١٩٩٠. وفى عام ١٩٩٥ كان أقل من ١٪ من سكان العالم يستخدمون الإنترنت. اليوم، أصبح ٦٦٪ من سكان العالم يستخدمون هذا الاكتشاف المذهل، الإنترنت.

> تعد مصر من أوائل الدول العربية التى دخلتها خدمات الإنترنت، إنها ثالث دولة دخلتها خدمات الانترنت بعد تونس والكويت

والإنترنت عبارة عن شبكة ضخمة من شبكات الحاسبات المتصلة مع بعضها عالميًا عبر خطوط الاتصال وأجهزة التوجيه. وتربط هذه الشبكات بين مزودى خدمة الإنترنت وشركات الاتصالات ومراكز البيانات. هذه المكونات مع بعضها تشكل البنية الأساسية لعمل الإنترنت وتربط شبكات العالم فى نظام موحد يسمح بتبادل المعلومات. ويوفر الاتصال الفعلى للمستخدم بالإنترنت عبر تقنيات مثل DSL أو الكابل أو الألياف الضوئية.

يرتبط العالم بواسطة الكابلات التى تنقل خدمة الإنترنت لمختلف دول العالم، والكابل هذا يمكن أن ينقطع فيتسبب فى انقطاع تدفق تيار الإنترنت، وعندما نشبت الحرب بين حماس وإسرائيل فى أكتوبر ٢٠٢٣. وتدخل الحوثيون فى اليمن إلى جانب حماس، نشأت مخاوف من قيام الحوثيين باستهداف كابلات الإنترنت التى تربط أوروبا بشرق آسيا والصين والهند.

ومن تلك الكابلات يتدفق الإنترنت عبر أسلاك، حتى تصل إلى معظم القرى والنجوع فى البلاد عبر الشوارع وأسطح المنازل.

وقد ساهمت المشاريع الطموحة مثل كابلات إفريقيا الممتدة عبر قاع المحيط، فى وصول خدمة الإنترنت إلى ٧٠ فى المئة من سكان العالم. وبدأت الأموال والخبرات تتدفق على الدول المتقدمة والشركات العملاقة فى الإنترنت مثل ميتا وتشاينا موبايل وفودافون.

ونعتمد جميعًا على الكابلات البحرية كل يوم فى استخدام الإنترنت لإرسال رسائل البريد الإلكترونى أو مشاهدة مقاطع الفيديو.

فى بعض الأحيان، تعتمد اتصالات دولة بأكملها على عدد صغير من كابلات الإنترنت التى يمكن أن تنقطع، بل وتتعطل بالفعل.

فجأة أعلن العام كله يوم ١٩ يوليو ٢٠٢٤، حالة الطوارئ القصوى عندما تعطل كابل الإنترنت، وتحولت الشاشات إلى اللون الأزرق الذى ينبئ بكارثة فى كل مكان، تأكد المواطنون فى البلدان المتأثرة بعطل مايكروسوفت أن الوضع كارثي، وبالفعل كانت الرسالة الأولى لتعطيل حركة البنوك والمتاجر الكبرى والمنافذ الإعلامية، وكذلك توقف حركة الطيران فى عدد من بلدان العالم، ما تتسبب فى حالة من الذعر والارتباك على نطاق واسع،

تسبب العطل التقنى فى فوضى بالمطارات والمستشفيات ومراكز الاتصال والبنوك والسكك الحديدية، وأثر على الخطوط الجوية الأمريكية، التى أعلنت توقف جميع الرحلات الجوية، بسبب وجود خلل فى أحد تطبيقات مايكروسوفت، التى أحدثت فوضى فى جميع أنحاء العالم.

تأثرت كل العمليات فى مختلف البلدان بالانقطاع المفاجئ لشبكة الإنترنت. بما فى ذلك المطارات الإسبانية وشركة الطيران التركية ووسائل الإعلام والبنوك الأسترالية.

وقادت أسهم قطاع السفر والترفيه الخسائر بانخفاضها ٢,٥ بالمئة.

وتراجعت أسهم شركة مايكروسوفت وغيرها فى التداولات المالية والبورصات الأوروبية، إذ أبلغ مستخدمو مايكروسوفت فى جميع أنحاء العالم عن انقطاع الخدمة على نطاق واسع.

كما تعطل تداول النفط والغاز فى لندن وسنغافورة بسبب انقطاع الإنترنت.

ولكن سرعان ما استعاد العالم الاتصال، وعادت حركة العمل من جديد.

تعد مصر من أوائل الدول العربية التى دخلتها خدمات الإنترنت، إنها ثالث دولة دخلتها خدمات الانترنت بعد تونس والكويت.

أول ظهور لخدمات الانترنت فى مصر كان ١٩٩٢ حيث تم توصيل بعض الجامعات المصرية مع شبكة «بت نت» الفرنسية وكان استخدامها فى ذلك الوقت مقتصرًا على مركز المعلومات إضافة إلى الجامعات. وظلت خدمات الإنترنت تتطور حسب آخر الاحصائيات فقد تجاوز عدد مستخدمى الانترنت فى مصر ٤٥ مليون مستخدم لتكون فى المرتبة ١٣ عالميًا، من حيث عدد المستخدمين.

أما عن مواقع التواصل الاجتماعى فقد بلغ عدد مستخدمى شبكة فيسبوك ١٩ مليون مستخدم فعلى وقد سجلت كثانى أنشط دولة فى العالم فى استخدام فيسبوك بعد البرازيل وذلك عام ٢٠١٣.

خالد حريب

ترامب الشعبوى وهاريس الطموحة

استطاع الحزب الديمقراطى الأمريكى أن يفلت من فخ الانتحار الانتخابى، الذى دخل إليه بقدميه عندما دعم بايدن مرشحًا فى مواجهة الجمهورى الشعبوى ترامب، وبينما اعتقدنا أن الرصاصة التى مست أذن ترامب هى رصاصة الرحمة ليموت الحزب الديمقراطى انتخابيًا قبل بدء الانتخابات، إلا أنه استيقظ من تحت الرماد بإعلان بايدن الانسحاب من الماراثون الانتخابى ودعمه كامالا هاريس، التى كانت سيناتورًا عن ولاية كاليفورنيا فى مجلس الشيوخ، بايدن رأى أن تحل هاريس محلّه لخوض الانتخابات المقررة فى نوفمبر لتولى الرئاسة لولاية ثانية للحزب الديمقراطى.

ما زال الملعب مفتوحًا لاسم ديمقراطى جديد يمكن له أن يقفز ليكون مرشحًا منافسًا لترامب، وتعتبر هاريس حتى هذه اللحظة هى مرشحة بايدن للرئاسة وليست مرشحة الحزب، حيث تسعى هاريس الآن نحو اعتماد ترشيحها من حزبها لخوض الانتخابات الرئاسية.

لم ينتظر ترامب كثيرًا بعد إعلان اسم هاريس وانسحاب بايدن وقام بهجوم حاد على الرئيس الديمقراطى جو بايدن ونائبته كامالا هاريس، وكتب فورًا على شبكته الاجتماعية تروث سوشيال: «جو بايدن لم يكن مؤهلًا لأن يكون مرشحًا للرئاسة، وبالتأكيد ليس مناسبًا للخدمة فى المنصب»، وأضاف: «من سيختاره الآن سيكون مماثلًا»، أما جاى دى فانس، الذى اختاره ترامب نائبًا له، فقد اعتبر أن هاريس «رافقته»- يقصد بايدن- طوال فترة ولايته وهى «مسئولة عن كل هذه الإخفاقات، وقد كذبت لما يقرب من أربع سنوات بشأن قدرات بايدن العقلية»، وكذلك فريق حملة ترامب دخل على خط الهجوم بقوله إن كامالا هاريس ستكون «أسوأ» بالنسبة للبلاد من الرئيس بايدن.

> بشكل عام نشهد حدثًا تاريخيًا بانسحاب بايدن، لأنه لم يحدث له مثيل فى تاريخ الانتخابات الأمريكية سوى مرة واحدة فى ستينيات القرن الماضى

وإذا كانت هذه هى تصورات الجمهوريين للمرشحة الأوفر حظًا عند الديمقراطيين لخوض انتخابات الرئاسة، فهل معنى ذلك أن المعركة قد تم حسمها لصالح ترامب؟، الحقيقة هى أن الملعب الانتخابى الأمريكى لا يخلو من المفاجآت، وأن مؤشرات قياس الرأى العام هناك ومعظمها يكون على صواب، تراوحت مؤخرًا ولم تعط الأفضلية المطلقة لـ ترامب، وكان بايدن رغم سوء إدارته- من وجهة نظرنا كعرب- إلا أنه وقبل المناظرة الشهيرة مع ترامب كان منافسًا مزاحمًا، وجاءت المناظرة وبعدها رصاصة الأذن ومن بعدهما إصابته بـ كورونا لتذهب به وبالحزب الديمقراطى إلى نقطة متدنية فى المنافسة.

وبالرغم من طرح أسماء عدد من حكام الولايات كمرشحين محتملين للحزب الديمقراطى إلا أن نائبة الرئيس كامالا هاريس ستبقى هى الخيار الأكثر اقتناعًا لدى الحزب، وذلك لاعتبارات فنية منها أن هاريس هى التى جاورت بايدن طوال فترة حكمه منذ أدائه اليمين الدستورية فى ٢٠٢١.

كما أن هاريس، البالغة ٥٩ عامًا، هى ابنة لأب جامايكى وأم هندية، وكانت أول شخص أسود وأول امرأة تشغل منصب المدعى العام لولاية كاليفورنيا، كما كانت أول عضو فى مجلس الشيوخ الأمريكى من أصول جنوب آسيوية. وهى الآن أول امرأة وأول سوداء تتولى منصب نائب الرئيس، هذا التباين من شأنه تجميل صورة أمريكا كبلد يقبل التنوع، ولكن تقف أمام هاريس ثغرة يشير إليها بعض الديمقراطيين الذين وجّهوا انتقادات لسجل عقوباتها الصارمة للمخالفين القصر، معتبرين أنها تؤثر بشكل غير متناسب على الأقليات، وهذا ما يشجع عددًا من حكام الولايات للطمع فى ترشيح الحزب الديمقراطى، ولكننا بشكل عام نشهد حدثًا تاريخيًا بانسحاب بايدن، لأنه لم يحدث له مثيل فى تاريخ الانتخابات الأمريكية سوى مرة واحدة فى ستينيات القرن الماضى.

أحمد بهاء الدين شعبان

عاد لينتقم!

بعد طول تمنُّع ومقاومة مُستميتة، أُجبر«جو بايدن»، الرئيس السادس والأربعون للولايات المتحدة، على الاعتراف بعدم قدرته على خوض الانتخابات الأمريكية، والانسحاب من سباق الرئاسة والتنحّى عن خوض المعركة الضارية المُحدّد لها شهر نوفمبر القادم، بعدما خذلته أوضاعه الصحيّة المُتراجعة، كما تبدّى فى أدائه المُتردى خلال المُناظرة ضد خصمه الشرس «دونالد ترامب»، المُنافس الضارى المُتعطّش للانتقام، والساعى بدون هوادة ـ للعودة إلى ارتقاء كرسى العرش للشخص الأهم على مستوى المعمورة، الذى يملك حق التصرُّف فى مُقدّرات أكبر الدول اقتصاديًا، وأقواها عسكريًا، وأكثرها نفوذًا على القطاع الأكبر من دول وشعوب العالم بسبب هيمنتها المنفردة على مؤسسات العمل الدولي: السياسى والمالي، والأهم بالنسبة لنا، لسطوتها الطاغية على القرارات الاستراتيجية لمُعظم دول المنطقة، وفى مقدمتها تلك الخاصة بالصراع ضد العدو الصهيوني، وأوضاع القضية الفلسطينية وتطوراتها، انطلاقًا من حقيقة أن الولايات المتحدة هى «الأب الروحي» لـ «إسرائيل»، والحامى الرئيسى له على كل المستويات.

حتى الآن وبسبب الظروف الأخيرة التى دارت حول مُستقبل الانتخابات الأمريكية، وخاصةً بعد واقعة محاولة إطلاق الرصاص على «ترامب» وقتل المُتهم فى هذه العملية الفاشلة، إضافةً إلى الضعف والهشاشة اللذان صاحبا أداء «بايدن» المتعثر، فضلًا عن اتجاه غالبية من أصوات الشباب الحانق بسبب جرائم إسرائيل فى غزة للتخلى عن دعمه، تبدو فرص «ترامب» فى الفوز للانتخابات هى الأفضل، لكن من المُبكر حسم هذه القضية، وعلينا أن ننتظر حتى ظهور النتيجة، خاصةً وأن «البديل» لـ «جو بايدن» لم يُعلن رسميًا، رغم تأييده لترشيح نائبته «كاميلا هاريس» خلفًا له.

> لقد عاد الذئب الجريح؛ الحاقد؛ لينتقم، فلا ينتظرن منه عاقلٌ خيرًا

وإذا كانت سياسات «الحزب الديمقراطي» قد باتت معلومة، فماذا لو فاز «ترامب» فى الانتخابات، وتُوج رئيسًا، وهو احتمال وارد على كل الأحوال؟

يُمكن توقُّع ثلاثة محاور رئيسية للسياسات الأمريكية فى ظل «ترامب»، أبرزها السياسات الداخلية، والتى حدّدها (حال فوزه بالسُلطة)، وتدور حول سبعة قضايا: فى إطار المنافسة الاقتصادية مع الصين: فرض رسوم جمركية بنسبة ٦٠٪، وفى المقابل خفض مُعَدَّل الضريبة على الشركات إلى ٢٠٪ (الآن ٢١٪)، وزيادة إنتاج النفط والغاز والفحم الطبيعى (موقف سلبى من اتفاقيات المناخ والحد من التلوث)، وتخفيض الفائدة على الدولار، والاستثمار فى التقنيات المُتقدمة (مع موقف غير مُتحمس للاستثمار فى السيارات الكهربائية)، وإنهاء التضخُّم وخفض كُلفة المعيشة فى أمريكا، وأخيرًا: تنفيذ أكبر برنامج لترحيل المُهاجرين الأجانب من أمريكا إلى خارجها!

أمّا على المستوى العالمى والأوروبي، فمن المُتَوَقّع أن يتخذ موقفًا مُتحفِّظًا من حلف «الناتو»، وهو موقف سبق له إعلانه ويتلخّص فى ضرورة قيام كل دولة من دول الحلف بتسديد ما نسبته ٢ ٪ من إجمالى دخلها القومى إلى خزينة التحالف الغربي، وإلّا فلروسيا «أن تفعل ما يحلو لها»، كما سبق له وصف حلف الناتو بأنه منظمة «عفا عليها الزمن"!

لكن أخشى ما يخشاه دول حلف «الناتو» هو تغيُّر الموقف الأمريكى فى عهد «ترامب» كيفيًا من الحرب الروسية ـ الأوكرانية، وقد عَبَّرَ الرئيس الأوكرانى «فولوديمير زيلينسكي» عن القلق العميق من أن تحمل عودة «ترامب» إلى موقع الرئاسة الأمريكية مُجدّدًا اتجاهًا لمنع المُساعدات العسكرية والمالية عن بلاده، مُوضحًا أن أوكرانيا لن تملك فى هذه الحالة القدرة على مقاومة سلاح الجيش الروسى بإمكانياته الهائلة، حيث تُشكل مظلة الحماية التى يوفرها التحالف الذى تقوده الولايات المتحدة الضمانة الوحيدة لأمنها على المدى الطويل.

وفيما يخص قضايانا فى الوطن العربي، فليس من المُنتظر أن يتخلّى «ترامب» عن الدعم الكلى لقاعدتهم الصهيونية المتقدمة، «إسرائيل»، التى حدّدَ «إريئيل شارون» وزير الدفاع ورئيس الوزراء الصهيونى الأسبق مضمون دورها وجوهر وظيفتها فى خدمة المصالح الأمريكية والغربية، ومن ثم «استحقاقها» للإنفاق الأمريكى عليها والدعم العسكرى الاستراتيجى السخى لها: «إن الأمريكيين يُعاملوننا وكأننا حاملة طائرات أو قاعدة عائمة. إنهم لا يفهمون دلالتنا الحقيقية؛ نحن لسنا حاملة طائرات واحدة؛ بل نحن عشرون حاملة. نحن أهم كثيراً مما يظنون، إذ نستطيع أن نذهب بالشرق الأوسط فى كل لحظة»! (سيمور هيرش، الخيار شمشون، الطبعة الإنجليزية، نيويورك، راندوم هاوس، ١٩٩١، ص: ٢٨٩).

ولعلنا نذكر أن «ترامب» هو مَن وافق على (مشروعية) فرض قرار جعل مدينة «القدس» المُحتلة عاصمة الكيان المُغتصب بنقل السفارة الأمريكية إليها، فى ٦ ديسمبر ٢٠١٧، بعد أن أعلن أن القدس، بشقيها الشرقى والغربي، عاصمة لإسرائيل، رغم أن هذا الأمر يمثل اعتداءً مُباشرًا على القانون الدولى وعشرات القرارات الأممية، وهو الذى بارك ضم مُرتفعات الجولان المُحتلة للدولة الصهيونية، بإعلانه عن مرسوم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بموجبه أن هضبة الجولان السّورية المحتلّة جزءٌ من دولة «إسرائيل»، وقّعه فى ٢٥ مارس ٢٠١٩ بعد زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى «بنيامين نتنياهو» إلى واشنطن، كما أنه مَن دفع باتجاه تسريع وتيرة التطبيع بين النظم العربية الخليجية والكيان الصهيونى من خلال مشروع «الديانة الإبراهيمية» المزعومة!

لقد عاد الذئب الجريح؛ الحاقد؛ لينتقم، فلا ينتظرن منه عاقلٌ خيرًا.

على سعدة

حوارات داخل الانتخابات الأمريكية

لا شك أن انسحاب جو بايدن من سباق الرئاسة الأمريكية المقام فى نوفمبر هذا العام كان منطقيًا للغاية.. بل إن بعض رؤساء الدول ثمنوا ما فعله ووصفوه بالعمل الوطنى.

الرجل شعر بأن سنه وحالته الصحية لا يؤهلانه لاستكمال مسيرته لحكم أكبر دولة فى العالم ٤ سنوات أخري، خاصة بعد وجود شبهة (الخرف).. وظهر هذا جليًا فى المناظرة التى أجرتها قناة الـ(CNN) على الهواء مباشرة فى مارس الماضى مع المرشح القوى للحزب الجمهورى دونالد ترامب.

المواجهة كانت ساخنة للغاية، وإن لم تكن مقنعة للمواطن الأمريكي.. وتعد هذه أول مناظرة فى التاريخ الأمريكى بين رئيس فى السلطة ورئيس سابق. تبادل الرئيس الأمريكى جو بايدن والرئيس السابق دونالد ترامب فى المناظرة الاتهامات حول قضايا حاسمة، أهمها التضخم الاقتصادى والسياسة الخارجية (خاصة الحرب فى غزة) والإجهاض والهجرة.

بدأت المناظرة بمدينة أطلنطا بولاية جورجيا بلا مصافحة بين المرشحين.. اصطحب بايدن معه زوجته، وكذلك نائبته كامالا هاريس.. بينما حضر ترامب بمفرده.

تحدث بايدن بصوت مكتوم، وتلعثم فى عدة نقاط حيوية، بينما كان ترامب قويًا سليط اللسان.

تبادل الاثنان الاتهامات وبعض السباب.. ووصف ترامب بايدن بأنه كان يتصرف كالفلسطينى الضعيف فى قضية غزة.

كذب ترامب ٣٠ كذبة، وكذب بايدن ٩ كذبات، وفقًا لإحصائيات قناة الـ(CNN)، لكن فى نهاية المناظرة زادت شعبية ترامب إلى ٦٥٪، مقابل ٣٥٪ لبايدن، ما دفع إيلون ماسك (ثانى أغنى أغنياء العالم) لإعلان تبرعه بمبلغ ٤٥ مليون دولار شهريًا لصالح الدعاية الانتخابية لترامب.

كان من المنطقى أن يعيد بايدن ترتيب أوراقه، ويعلن انسحابه من السباق الرئاسى، بل ويرشح نائبته (من أصول إفريقية) كامالا هاريس لتقود معركة الانتخاب بدلًا منه عن الحزب الجمهورى.

القرار لم يلق استحسان رئيس الكونجرس، وطالب الرئيس بايدن بتقديم استقالته فورًا، طالما يشعر بأنه غير قادر على حكم البلاد.

الأصوات متضاربة حاليًا داخل الحزب الديمقراطى.. فبعضهم يرفض أن تكون المرشحة عن الحزب لحكم البلاد سيدة.. خاصة أنها ملونة، والبعض الآخر يرحب بها لقوة شخصيتها، ولتاريخها المشرف كنائب عام متمرس.

> أيًا كان الرئيس الأمريكى القادم، سواء جمهوريًا أو ديمقراطيًا فلن يكون منصفًا لقضايانا العربية.. فدعنا ننتظر النتائج بتفاؤل محدود

الأيام القادمة ستسفر عمن سيكون المرشح الديمقراطى البديل لبايدن.

نحن كعرب نعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك معظم أوراق القضية الفلسطينية (كما أعلن من قبل الرئيس السادات)، ولا نتمنى وصول ترامب للحكم مرة أخري، فهو أول من أعلن انحيازه التام لإسرائيل، ونقل السفارة الأمريكية للقدس اعترافًا منه بأنها عاصمة إسرائيل.

كذلك لا نتمنى فوز الحزب الديمقراطى المملوك لليسار الأمريكي، وهو صاحب نظريات الفوضى الخلاقة فى الشرق الأوسط، ومؤامرات الربيع العربي، وتشجيع النزاعات الدينية، وغيرها من النظريات المدمرة، وفى الوقت نفسه تأييده المطلق لإسرائيل.

أيًا كان الرئيس الأمريكى القادم، سواء جمهوريًا أو ديمقراطيًا فلن يكون منصفًا لقضايانا العربية.. فدعنا ننتظر النتائج بتفاؤل محدود.

إبراهيم داود

«العيال فهمت».. لعلاج الاكتئاب

دعك من محمد صبحى وأرضه المسطحة مثل أفكاره، ودعك من التكالب على السفر لتقديم مسرحيات معلبة سخية الإنتاج، وتوجه إلى مسرح ميامى فى وسط القاهرة، لمشاهدة العرض الجميل «العيال فهمت» من إنتاج الدولة، ليس فقط لكى تستمتع بعمل فنى رفيع المستوى، ولكن لكى تطمئن على جهاز المناعة القوى القادر على حماية الوجدان المصرى من القراصنة.

المسرحية التى كتبها طارق على وأحمد الملوانى، وأخرجها الموهوب الكبير شادى سرور، مستوحاة من مسرحية «صوت الموسيقى» الشهيرة المأخوذة هى الأخرى عن مذكرات الراهبة النمساوية ماريا، التى عثر عليها الفريق الغنائى الأمريكى رودجرز وهامرشتاين فى الخمسينيات، وقدمها المخرج الأمريكى روبرت وايز للسينما سنة ١٩٦٥، وقامت ببطولته جولى أندروز، ورشح لعشر جوائز أوسكار، حصل على نصفها، وفى مصر قدمت باسم «موسيقى فى الحى الغربى» بثلاثى أضواء المسرح، وحققت نجاحًا ملحوظًا سنة ١٩٧١. فى الفيلم الأمريكى تركت الراهبة الدير وتفرغت لتربية سبعة أطفال بعد رحيل أمهم، لانشغال والدهم الضابط البحرى، الذى يعتمد الصرامة فى تربيتهم كأنهم جنوده، وتتبدل الأحوال مع المربية التى نجحت من خلال الموسيقى فى اكتشاف مواهبهم وطاقاتهم المكبوتة، وصالحتهم على العالم. فى العرض الجديد الذى قدمه المسرح الكوميدى بقيادة ياسر الطوبجى، أنت أمام «صوت الموسيقى» الطازج المبهج، كتابة ذكية خفيفة الظل، كوميديا غير مفتعلة، أشعار مغزولة بمهارة دراماتورجى موهوب كتبها طارق على، تمثيل على أعلى مستوى، موسيقى وألحان لأحمد الناصر تستدعى اللحظات السعيدة والشجية ببساطة وبدون «حزق»، ديكور دافئ وذكى وبسيط للدكتور حمدى عطية، الأب هنا طيار وليس ضابطًا بحريًا، قام بدوره باقتدار رامى الطومبارى، وهو فنان كبير جدًا يستحق مكانة أكبر وسط نجوم مصر، أب قاس جدًا، يعتقد أن مصائر أولاده مسئوليته، يعيشون فى «قفص» رسم حدوده، نجح الطومبارى فى القبض على الشخصية بمهارة شديدة، أثناء سفره يترك المهمة لـ«زكريا» الذى قام بدوره فنان كبير آخر هو عبدالمنعم رياض، رجل طيب، لا يملك ما يؤهله لتربية أطفال متنوعى الهوايات ومقهورين، ولكنه يملك مشاعر فطرية دافئة أقرب إلى مشاعر الأمهات، جعلته ينحاز فى النهاية إلى الأولاد على حساب مستقبله، قرر الأب الاستعانة بمربية، وبعد مقابلات كثيرة وقع الاختيار على «نغم»، التى كسبت ود الأطفال بروحها المتحررة وعشقها للموسيقى، الأب يحدد ما هى الموسيقى التى ينبغى أن يستمع إليها أولاده، وما هى الرياضة التى ينبغى أن يمارسوها، تأتى نغم لتفجر طاقاتهم وتربطهم بالواقع، وتساعد كل واحد فى التعبير عن نفسه بتلقائية، ولكى تستثمر هذا التحول تقرر أن تشارك معهم فى مسابقة غنائية، قبل ذلك فاجأ الأبناء الأب باحتفال جميل بعيد ميلاده، ورغم امتنانه وظهور جزء خفى من طيبته، فإنه تخلص من المربية الجميلة التى قامت بدورها باقتدار رنا سماحة حين عرف بأمر المسابقة، وحاول أن يعيد أطفاله إلى القفص الذى نصبه لهم، وعهد إلى زكريا بتنفيذ تعليماته أثناء سفره، ولكنه لم يسافر هذه المرة، ليكتشف أن أولاده ذهبوا للغناء مع نغم، فتحدث المواجهة مع زكريا فى مشهد من أجمل المشاهد على الإطلاق، بين موهبتين جبارتين، ينتهى بذهاب زكريا مع الحلم الكبير الذى يمثله توق الأولاد للحرية والغناء والأمل، نكتشف أيضًا أن الأب كان له حلم هو الآخر وهو التمثيل، ولكن أبوه أجهضه، فقرر أن يجهض أحلام أبنائه، فى النهاية يذهب إلى مكان المسابقة، ويكتشف أنه أخطأ، ورغم عدم الفوز، فإننا شعرنا بانتصار المشاعر البسيطة على «السلطة» الغشيمة التى تعتقد أنها تمتلك المصائر.. عرض جميل جدًا، «قطفة شباب زى الورد» أشاعوا البهجة على مدار ثلاث ساعات تقريبًا، بدون ملل وبدون ابتذال، كوميديا ذكية تنهل من تراث البداهة المصرى الخالص، لم نشعر بملل، ووسط الخط الأساسى يناقش العرض هموم معاصرة، مثل غناء المهرجانات، وبخفة ظل الممثل سعيد محمد «قرفة» تعرفنا على طريقة تفكير صناع هذا الغناء، وأيضًا الأدوار الصغيرة التى تخللت العرض كانت لها تأثير جميل جدًا، مثل دورى المربيتين اللتين تم استبعادهما وقامتا رانيا النجار الكوميديانة الجبارة بدور مربية «لاسعة»، ومنة الحسينى بدور المربية السجانة التى قام الأولاد بتطفيشها، وأيضًا دور محمود الهنيدى الذى حاول التغرير بعاشقة تصميم الأزياء، ودور إيهاب شهاب الذى قام بدور الجار «الرخم»، ورغم قلة المساحة فإن الفنانين الجميلين تركا أثرًا لا يمكن لمشاهدى العرض نسيانه، أما الأبناء فهم البهجة كلها، خفة ظل وانسجام كأنهم أشقاء فعلًا، وكنت أتمنى أن أكتب عن كل شخص على حدة، محمد على ونور شادى وجيسى أسامة وأحمد هشام ورحيم رزق وندى محمد وروضة عز العرب، «التى سعدت بمعرفة أنها ابنة صديقى وحبيبى الشاعر الكبير خميس عز العرب».. وهؤلاء بإذن الله سيكون لهم شأن عظيم فى المستقبل القريب.. أما رئيس البهجة الذى أبهرنا وأضاف على العرض المبهج بهجة من نوع خاص، فهو الطفل على شادى الذى لا تعرف كيف نجح المخرج فى إخراج هذه الإمكانات منه.. عرض أنصح بمشاهدته لأنه مضاد ناجع للاكتئاب.. ويبعث أيضًا على الأمل.

«قطفة شباب زى الورد» أشاعوا البهجة على مدار ثلاث ساعات تقريبًا، بدون ملل وبدون ابتذال، كوميديا ذكية تنهل من تراث البداهة المصرى الخالص

إبراهيم عبدالفتاح

العيال فهمت

على مسرح ميامى ومن إنتاج البيت الفنى للمسرح، فرقة الكوميدى، نسخة حديثة من فيلم «صوت الموسيقى» الحائز على 5 جوائز أوسكار وعشرات الترشيحات، الذى اعتمد على مسرحية استلهمتها إحدى الفرق الغنائية من مذكرات راهبة نمساوية تدعى ماريا فى خمسينيات القرن الماضى تحمل نفس الاسم، ولعل الأهم من أن تكون لديك فكرة، حتى لو كانت مقتبسة، أن تعرف كيف تحكيها، فتتجاوز فى نسختك المبتكرة روعة وفرادة النص الأصلى. تقول الحكاية إن عاصم «رامى الطنبورى» ضابط طيار توفيت زوجته وتركت له ٨ أبناء، اعتمد فى تربيتهم على نظام صارم يراعى الدقة والأصول من وجهة نظره، مستعينًا بأحد أقاربه زكريا «عبدالمنعم رياض» الذى يراعى الأبناء دون خبرات كافية فيلتزم بتنفيذ تعليمات الأب، غير أنه أكثر خفة وحنانًا، بل دراية بمشكلاتهم وكذلك مواهبهم وأحلامهم.

لكن عاصم يرتاب فى التقارير التى يدونها زكريا وخاصة حين يعود فجأة من رحلة طيران تعطلت بسبب سوء الأحوال الجوية، فيفاجأ بالفوضى التى تضرب البيت وكذلك بالتقديرات والنتائج السيئة التى بات عليها أبناؤه، وبعد مواجهة شرسة مع زكريا يطلب إليه عمل إعلان للبحث عن مُربية تنقذ أولاده من مصير مجهول، وبعد اختبار عشرات المتسابقات للحصول على الوظيفة دون العثور على المربية التى يرجوها، وبعد انتهاء الموعد، تدخل نغم «رنا سماحة» صالة البيت الفارغة، ومع أول خطوة فى صعودها السلم المؤدى إلى غرف الأبناء نلاحظ إضاءة كل درجة تخطوها فى إشارة تبشر بتغيير محتمل، يظهر الأبناء تباعًا ثم زكريا وعاصم الذى يرفضها كونها لم تلتزم بموعد المسابقة وهو ما يتنافى مع حرصه على دقة المواعيد، لكن زكريا الذى أعجب بنغم يحاول إثناءه عن طردها وينجح فى إقناعه بمنحها فرصة ربما يجد فيها ضالته.

يتذمر الأبناء فى البداية، ويعترضون على جلوسها فى مقعد الأم الخالى والمنكسر دائمًا كأنما انكفأ على الفقد، فقط يسمحون لها بمقعد إضافى يبتعد بمسافة مناسبة عن السفرة، كل شىء محتمل إلا مقعد الأم، رويدًا تقترب نغم من الأبناء وتستطيع مع الوقت كسب ثقتهم، ومن ثم التعرف إلى هواياتهم وأحلامهم الحقيقية التى طمستها صرامة الأب، ذلك المتجهم دائمًا الذى لا يدرى أنه هو أيضًا قد صودرت مواهبه وأحلامه. تبدأ نغم فى تدريبهم على السلم الموسيقى وتكتشف سلامة حواسهم وحسن أصواتهم، فتبدأ فى تعديل وتقويم مواهبهم وتستبعد تبنى بعضهم الغناء دون المستوى كالمهرجانات وغيرها من فن يسود ويفسد الوجدان والذائقة، وتستعيد معهم حلمها فى غناء مقطوعة ألفها ولحنها والدها منذ سنوات بعيدة، لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى عندما يعترض الأب على تهاونها فى أداء وظيفتها ويطردها على غير رغبة من أبنائه الذين تعلقوا بها.

> هذا العرض المبهر فى زمنه الطويل نسبيًا دون ملل يذكر تتركه ولا يتركك دون أن تستغرق فى متعته ودلالاته

يذهب الأب فى رحلة عمل وأثناء غيابه يقرر الأبناء الذهاب إلى نغم والاشتباك مع حلمها الذى بات حلم الجميع، وبالفعل يتدربون بدأب وإصرار ويخوضون معها مسابقة غنائية يحضرها زكريا الذى تضامن معهم ونفاجأ بحضور الأب أيضًا الذى يتأثر بإبداع أبنائه وكأنه يكتشفهم للتو فيرق قلبه لهم ولنغم بالتبعية ولزكريا أيضًا، لكن فرقة نغم تصدمها نتيجة المسابقة لعدم فوزهم بها فيحبطون وينهارون تمامًا، لكن عاصم يذكرهم بأغنية سمعها ذات مرة منهم ويبدأ فى ترديدها وحثهم على استكمال أحلامهم وأن الخسارة فى جولة لا تعنى نهاية العالم فلا تزال أمامهم جولات قادمة، يدب الحماس فى عقول وأبدان الأبناء فيلتفون حوله تصحبهم نغم ويرحبون بها أخيرًا على مقعد الأم.

والحقيقة أن رؤية وإخراج الموهوب «شادى سرور» أسهمت بشكل ملحوظ فى تجسيد دراما العمل من خلال استغلال كل بقعة من خشبة المسرح، واستعمال كل الأبعاد فى جرأة مذهلة فى التعامل مع الفراغ، واستثمار السينوغرافيا فى تعميق المحتوى وإكسابه دلالات عديدة، المقعد الفارغ كمثال ودرجات السلم التى أضاءت بمجرد وقع خطوات نغم، وكذلك فى مونولوج الأب وتبدل الصور واللوحات التى تزين الجدران وقد أصبحت كلها عبارة عن أطر حديدية باهتة تملؤها صورته الشخصية تلك المتجهمة الصارمة.

كما جاءت حلول الديكور طيعة ومرنة فى تشكلها وتبدلها وتقسيم خشبة العرض إلى مستويات تتضمن شرفة ونافذة وأبواب تسهل حركة الممثلين، مع إضاءة محمود الحسينى الذكية والناجزة. والملابس أيضًا كانت موفقة وموحية، حيث الزى الموحد طوال الفصل الأول والمتنوع أحيانًا وتحديدًا فى الفصل الثانى، فصل التمرد واقتناص الحرية، وقد نفذتها بمهارة فائقة شيماء محمود، التأليف والصياغة الشعرية «طارق على» الذى ينضج بوعى درامى مع كل عرض جديد، جاءت رائعة ومكثفة دون إسهاب أو ترهل وبسيطة كالماء، وقد شاركه أحمد الملوانى. أما النابغة أحمد الناصر فقد تعامل بذكاء ورشاقة مع المشاهد المغناة واستطاع أن يميز كل شخصية بتيمة مميزة وتنوعت موسيقاه بين الكلاسيك والمودرن وحتى فى تعامله الحذر مع المهرجانات. كما جاءت الرقصات مبهجة وناعمة بلا تزيد يذكر، وحرى بنا أن نثمن جهد دارين وائل فى تدريب ممثلين غير محترفين لفنون الرقص، فبدوا كما لو كانوا أفرادًا فى البلشوى. هذا العرض المبهر فى زمنه الطويل نسبيًا دون ملل يذكر تتركه ولا يتركك دون أن تستغرق فى متعته ودلالاته، وتقديرى أن مقولته تمحورت حول قيمة أساسية تنتصر لقدرة القوى الناعمة فى تبديل الواقع، وأن التمرد صنيعة الغضب لكن التغيير صنيعة الوعى، وأخيرًا لا يفوتنا أن نحيى الفنان القدير مدير الفرقة ياسر الطوبجى على اختياره ومباركته ورعايته، وبالضرورة نحيى فريق الممثلين وحسب الظهور: محمد على، نور شادى، جيسى أسامة، أحمد هشام، عبدالمنعم رياض، رحيم رزق، ندى محمد، روضة عز العرب، وفاكهة العرض الطفل على شادى، رامى الطنبورى، إيهاب شهاب، رانيا النجار، أميرة فايز، منة الحسينى، رنا سماحة، سعيد محمد، محمود الهنيدى، وكل من شارك فى هذه الدراما الموسيقية الرائعة.

عبدالرحيم طايع

اعتذار متأخر لعبدالرحمن الأبنودى

لا أكتب عن الأبنودى بمناسبة ذكرى ميلاده أو رحيله، ولا يصح أن يكتب الكاتب عن قيمة حقيقية مثله لسبب أيًا كان؛ فهو بذاته السبب، هو الشاعر الفذ الذى أثرى أرواحنا بإبداعاته النفيسة، وكما أثرانا أثرى بلادنا بأغانيه الوطنية المؤثرة الخالدة، أغانيه التى لم ترتبط بقائد مهما سما قدره ومهما ذاعت الأحاديث عن إلهامه وحكمته، هكذا أراها الآن، إنما ارتبطت بالأرض والناس أنفسهما، بالحجر والشجر والآلام والآمال والقضايا الإنسانية العامة، ببلادنا بلاد النيل والأهرام والأبنودى، نعم بلاده هو التى مقدار ما عرف بها عرفت به، ومقدار ما ألهمها ألهمته وأعطاها أعطته.

أعتذر للأبنودى لأننى لم أحرص على لقائه قط، طلبنى للقاء مرة، وتحدث عن قصائدى حديثًا طيبًا مرة، وأوصى آخرين بنشر كتاباتى النقدية مرة، لكننى كنت أملك معلومات مغلوطة عن الرجل العظيم، سامح الله من أسروا بها إلى، وكنت أتصوره كإنسان على غير حقيقته الشعرية، كانت حقيقته الشعرية بالغة العذوبة بالجملة، وكنت أتصوره إنسانًا مركبًا ليس بسيطًا بأى حال من الأحوال.

أطلق عليه القاهريون لقب الخال، والخال والد بمنطق المصريين جميعًا، ولعلى ظننت أن القاهريين مخدوعين فى لهجته الصعيدية الحميمة وأحضانه الفسيحة، إلى أن لقى ربه، بعدها يقنت أنه كان منتميًا إلى صعيده الجنوبى المصرى انتماء صادقًا لا شبهة فيه، وأن لهجته لم تكن تجارة وربحًا فى الشمال العاصمي، ويقنت أن أحضانه كانت تسع من الأحبة ألفًا، كما يقال، وأنه كان الملاذ والملتقى والضمة الحانية التى تخفف آلامًا بحجم العالم.. لا يعنى كلامى هذا أن الأبنودى ظل عاريًا من العيب بمدى صموده المديد، لكنه غالبًا حمل أخطاء لا خطايا، كسائر الناس الطبيعيين فى الدنيا، حملها فى طريق شهرته العريضة وغناه الأكيد وسلطته التلقائية بمقتضى الشهرة والغنى، والقصد كانت أحماله أخف بكثير مما قيل لى عنه مرارًا وتكرارًا ولم يكن الحقيقة، وما قد يكون قيل لغيرى، ممن لم يقتربوا منه أيضًا، فاعتقدوا أنه مراوغ، واعتقدوا أنه لص فلكلور، بل اعتقدوا، فيما اعتقدوا، أنه لم يكن يحتفى أصلًا بغير نفسه وحدها، ولم يكن ذلك منطقيًا!

> كنت من أصحاب الآذان فى زمن قديم غابر تذكرته الآن فجأة؛ ولهذا أعتذر بشجاعة

لاحقًا لم أعرف الأبنودى من مبدع منافس أو حتى واحد من المثقفين مهما تكن ثقتى فيه؛ فلقد كرهت كلام المبدعين والمثقفين عن رموزهم ونظرائهم فى كل شأن ومن أى اتجاه، لكننى سعيت إلى معرفة أكيدة به، من خلال إعادة قراءة ما كتبه، شعرًا ونثرًا، وما قاله فى الإعلام بلسانه، حديثًا وحوارًا، وإلى سماع طويل لآثاره الغنائية البديعة فى كل الموضوعات التى أهمته، وإلى فضفضة خاصة مع الناس العاديين الذين أحبهم فوق ما أحب سواهم، وكم وجدته، وراء ذلك كله، من ألطف البشر وأصدقهم وأذكاهم وأرسخهم موهبة طبعًا.

عاد الأبنودى فى نفسى كيانًا سويًا، كما كنت أحسبه قبل أن أوغل فى الوسط الشعرى والوسط الأدبى، وظلهما الثقافى، عاد بريئًا يداه خاليتان من دم الأجيال اللاحقة التى اتهمته بإحباطها تباعًا، والشىء الذى أريد قوله هنا لكل ناشئة الشعر والأدب، وكل الراغبين فى تثقيف أنفسهم وتوعيتها: جربوا بأنفسكم، ولا بأس بالإنصات للآخرين، لكن بدون تصديق حتى حصول التحقق.

بعض ما جرى كان تشويهًا لسمعة المبدعين المصريين الأكابر، تعمد الإساءة من جانب المتكلم عربيًا كان أو مصريًا للأسف، وتلقفًا للكلام بغير روية ولا استقصاء من صاحب الأذن، كنت من أصحاب الآذان فى زمن قديم غابر تذكرته الآن فجأة؛ ولهذا أعتذر بشجاعة!

جلال حمام

أصحاب النظرة المتفائلة للاقتصاد المصرى، الذين تناولوا أحواله خلال الفترة الماضية، وشرحوا أبعاده ومآلاته، دون غرض أو مرض، رأوا فى النصف الثانى من العام الحالى، انفراجة تُلقى بظلال من الراحة على هذا الاقتصاد، الذى عانى آثار أزمات طاحنة، بدأت مع تفشى وباء كورونا فى العالم، وعطّلت مسيرة الاقتصادات العالمية، حتى فى الدول الغنية والمتقدمة، ثم أعقبت كورونا، الأزمة الروسية الأوكرانية، وتعطل سلاسل الإمداد بين الدول وارتفاع معدلات التضخم، وانتهت بما هو قائم فى الشرق الأوسط، من حرب إسرائيلية غاشمة على قطاع غزة، واشتعال نيران الحرب الأهلية فى السودان، واضطراب الأوضاع فى ليبيا، وترصُّد جماعة الحوثى اليمنية بسفن التجارة العالمية فى البحر الأحمر، وتأثير ذلك على المرور فى قناة السويس، التى انخفضت عائداتها إلى مستويات خطيرة، ألقت بآثارها القاتمة على الاقتصاد المصرى، وانفجار أزمة دولار غير مسبوقة فى مصر، ساعد فى تفاقمها، سوق سوداء، التهمت جزءًا كبيرًا من تحويلات المصريين فى الخارج، استحوذ عليها أذناب أهل الشر، الذين يقيمون فى منطقة الخليج، ودول أخرى حول العالم.

اقتصاد يتعافى.. ودولة تنهض من كبوتها

اقتصاد يتعافى.. ودولة تنهض من كبوتها

وكما هى مصر دائمًا، تمرض لكنها لا تموت، تتعثر لكنها لا تقع.. انتفضت من كبوتها، وغيرت فى خارطة طريقها الاقتصادية، مستعينة بمجموعة وزارية جديدة، بفكر مُغاير لما كان عليه الحال فيما سبق، لأن التغيير سمة الإصلاح، ووسيلة من وسائل تحقيقه.. وبدأت بشائر الخير تترى، إذ أعلن البنك المركزى المصرى، أن الدين الخارجى يتراجع من مستوياته المرتفعة، ليسجل «أكبر تراجع تاريخى، بقيمة تتجاوز أربعة عشر مليار دولار منذ ديسمبر الماضى».. وتراجع الدين الخارجى فى مايو، إلى ١٥٣,٨٦ مليار دولار، بانخفاض قدره ٨,٤٣٪، أى بنحو ١٤,١٧ مليار دولار، عن مستواه فى نهاية العام الماضى، الذى بلغ ١٦٨,٠٣ مليار دولار.. هذا التحسن فى مستويات الدين الخارجى يأتى فى حين يزيد الاحتياطى النقدى الأجنبى إلى مستويات قياسية «الاحتياطى الأجنبى يتفوق على مستويات الأمان الدولية، ويسجل أعلى مستوى على الإطلاق بقيمة ٤٦,٣٨ مليار دولار».. ويغطى مستوى الاحتياطى النقدى الحالى، الواردات السلعية لمدة ٧,٩ شهر، مع أن المعدلات العالمية تقف عند حدود ستة أشهر فقط.

ارتفع صافى الاحتياطات الأجنبية فى يونيو، إلى ٤٦,٣٨ مليار دولار، وهو مستوى قياسى.. ونجحت سياسة البنك المركزى المصرى فى القضاء على عجز صافى الأصول الأجنبية، لتسجل فائضًا بـ١٠,٣ مليار دولار بنهاية يونيو الماضى، مقابل عجز ١١,٤ مليار دولار فى يناير.. هذا التحسن ساهم فى تقليل العوائد على سندات مصر الدولارية، بشكل كبير، إذ تراجعت بنحو ١٣٪ منذ أكتوبر الماضى، بعد أن ارتفع الطلب من المستثمرين الأجانب على أدوات الدين المصرية.. كذلك نجحت سياسة البنك فى «تراجع عقود مخاطر الائتمان لمدة عام، بأكثر من ٢٣٠٠ نقطة أساس، منذ مايو ٢٠٢٣».. بالإضافة إلى «زيادة ٢٠٠٪ فى موارد النقد الأجنبى للسوق المحلية، وارتفاع تحويلات المصريين بأكثر من ١٠٠٪، منذ تحرير سعر الصرف».

علينا أولًا، أن نضع خطًا فاصلًا، بين أداء حكومة سابقة وواقع صعب عشناه، وبين مشكلة قد حُلت وأزمة اقتصادية قد أوشكت على الانتهاء.. ذلك لأن هناك تغييرات كثيرة تحدث على الأرض، نتيجة لواقع عالمى وأوضاع تتغير.. ولعلنا نعود إلى ما قاله المتفائلون، من أن أزمة مصر الاقتصادية ستنتهى بنهاية العام الحالى.. صحيح أن الغالبية لم تشعر، حتى الآن، بأى آثار إيجابية، لأن ذلك يحتاج وقتًا ليلقى بثماره، لكنه آتٍ لا محالة.. هذا التأثير يمكن قياسه نسبيًا من إجابة كل منا على السؤال: هل تزداد حياتك المعيشية الصعبة صعوبة، أم أنها باتت مُستقرة عند درجة معاناتك السابقة؟.. كذلك، تعالوا لقراءة دلالات الأرقام التى ذكرناها فى صدارة هذا المقال.

انخفض الدين المصرى الخارجى إلى ما يزيد على ٨٪، وهو انخفاض ضخم.. وحدث تحسن هائل فى منحنى العائد على السندات المصرية، ومعنى ذلك، أن الفائدة التى كانت تدفعها مصر مقابل هذه السندات، انخفضت من أكثر من ٢٢٪ خلال العام الماضى، إلى ٩,٢٪ فى يونيو، أى بنسبة ١٣٪، وهذا دليل على تعافى الاقتصاد المصرى، إذ مع صعوبة الأزمة خلال الفترة الماضية، وارتفاع التضخم، ورفع البنك الفيدرالى الأمريكى لمعدلات الفائدة على ودائعه، كانت مصر ترفع بدورها معدلات الفائدة على السندات، وهذا أرهق الدولة المصرية، للحفاظ على مكتسباتها الدولارية.. وفى انتظار، انخفاض معدلات الفائدة على الإيداع والإقراض فى البنوك المصرية، خلال الفترة القادمة، لأن هذا يفتح المجال أمام المستثمرين والتجار والمُصنعين، للحصول على قروض بفائدة معقولة، وهذا يُنعش الاقتصاد ويُحرك السوق.

نحن نسير فى الاتجاه الصحيح.. وصل صافى الاحتياطيات الأجنبية بالبنك المركزى المصرى إلى أعلى مستوى له، بزيادة ثلاثة عشر مليار دولار عن أغسطس الماضى، وهذا معناه، أن مصر تملك حاليًا احتياطيًا نقديًا، يكفى ثمانية شهور من احتياجاتها الدولارية، وأنه لا أزمة قد تدفع قيمة الجنية نحو الانخفاض، بل إنه يذهب باتجاه الاستقرار لسنوات قادمة، وفى ذلك أمان للمواطن، فى ماله واستثماراته، وكذلك الأجنبى.. حدث نمو هائل فى تدفقات النقد الأجنبى باتجاه السوق المحلية بواقع ٢٠٠٪، من زيادة تحويلات المصريين فى الخارج عن طريق البنوك، بنسبة ١٠٠٪، كنتيجة مباشرة لاستقرار سعر صرف الدولار، وثبات قيمة الجنيه.. تم القضاء على عجز الأصول الأجنبية فى البنك المركزى، وسجلت فائضًا بقيمة عشرة مليارات وثلاثمائة مليون دولار فى يونيو، مقارنة بعجز بلغ ١١,٥ مليار دولار فى يناير الماضى.. حولنا العجز إلى فائض، قضينا على السوق السوداء، وتم تأمين سعر الجنيه ضد مواجهة مشكلة مستقبلية.. ومن حسن طالع مصر، ما أعلنه نائب رئيس البنك الفيدرالى الأمريكى، عن تخفيض الفائدة على ودائعه لثلاث مرات، حتى نهاية هذا العام، وهذا كفيل بورود كميات ضخمة من الدولارات إلى السوق المصرفى المصرى، ليكتمل تعافى الاقتصاد المصرى، الذى قال عنه أحد كبار رجال الأعمال المصريين، «هذا أوان الاستثمار فى مصر».

علينا أولًا، أن نضع خطًا فاصلًا، بين أداء حكومة سابقة وواقع صعب عشناه، وبين مشكلة قد حُلت وأزمة اقتصادية قد أوشكت على الانتهاء

إننى مع ما ذهب إليه الفريق كامل الوزير، نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية، ووزير النقل والاقتصاد، من أننا قادرون على صناعة الدولار فى مصر، خلال المرحلة القادمة، بزيادة الصادرات وتقليل الواردات، واكتفاء السوق المصرية بالصناعات المحلية دون الأجنبية.. وإذا كانت الصناعة تمثل جزءًا صغيرًا من قيمة الاقتصاد، فى أى دولة، فإن ثورة التكنولوجيا واقتصاد الخدمات فى الموانئ والمطارات والسكك الحديدية، والسياحة والسينما والمهرجانات والمؤتمرات وغيرها، تمثل عمود الخيمة فى أى اقتصاد، عندما تجعل من الإيرادات قوة مالية ضخمة، تفوق المصروفات بفارق كبير.. ولمن لا يعلم، فإن أمريكا تعانى من عجز فى ميزانها التجارى، تستورد أكبر بكثير مما تُصدره، ومع هذا فإن اقتصادها ضخم وغنى، وعملتها هى الأقوى فى العالم، لأنها تعتمد على اقتصاد الخدمات.. ونحن الآن فى حاجة إلى التركيز على هذا النوع من الاقتصاد، ومصر لم يعد يعوزها بنية تحتية لتحقيق ذلك، بما نفذته من مشروعات قومية عملاقة، خلال السنوات الماضية.

■■ وبعد..

فمن الإنصاف أن نرد الفضل لأهله.. السبب الجوهرى فى استقرار سعر الجنيه، يعود إلى أن البنك المركزى المصرى ولأول مرة يعمل بفكره الخاص دون تدخل من وزير المالية كما حدث فى السابق فى السياسة النقدية المصرية، وبعيدًا عن سياسة الحكومة.. ولذا نجح فى تخفيض قيمة الدين الخارجى، بانتهاجه فقه الأولويات.. وسيطر على السوق السوداء، التى تنشأ بشكل آلى، كما يعرف المتخصصون، عندما لا تتوفر السيولة الدولارية المطلوبة لاحتياجات الدولة.. والدولة القوية، هى من تملك زمام السوق لتقوده، وليس العكس، بمسايرتها آليات هذا السوق ومتطلباته دون معاندة أو مكابرة.. ولدينا الآن محافظ للبنك المركزى، قليل الكلام، عميق التفكير.. أعلن منذ مجيئه، أن حربه ستكون من أجل زيادة الاحتياطى النقدى للدولة، وقد وصل الآن إلى أكثر من سبعة وأربعين مليار دولار، وما زال الخير يأتى.

حفظ الله مصر من كيد الكائدين.. آمين.

محمد السيد صالح

التطور الطبيعى للمتحدث الرسمى

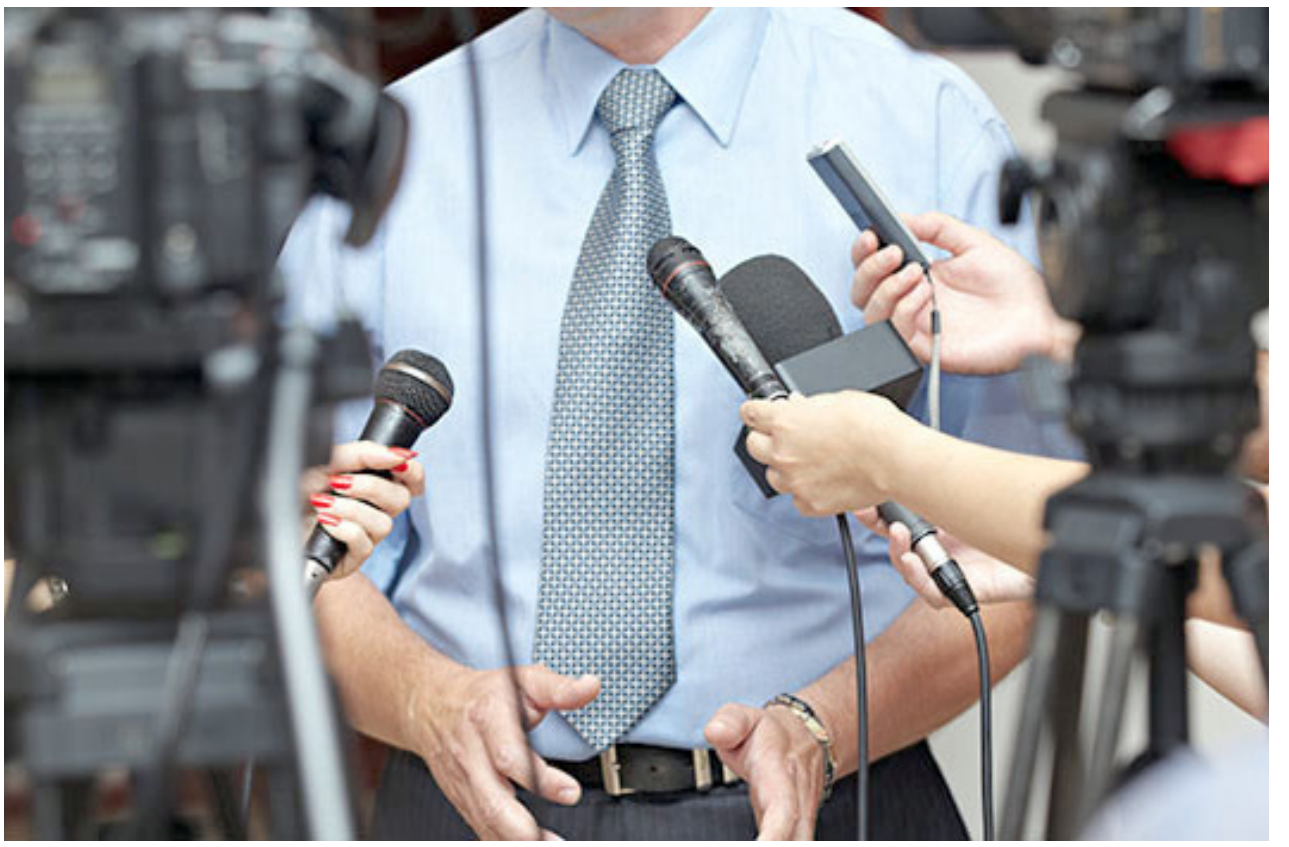

لو تابعت أى صحيفة، أو موقع إخبارى، أو نشرة أخبار على أى فضائية، فستكتشف أن غالبية الأخبار والمعلومات المحلية فيها مصدرها بيانات منقولة عن متحدثين رسميين. هى بيانات منشورة على الصفحات الرسمية، أو مُرسلة من الوزارة أو رئاسة الحكومة، للمندوب الصحفى الذى يغطى هذه الجهة الرسمية أو تلك. توارى الوزراء وكبار رجال الحكومة إلى حد كبير عن المشهد الإعلامى وتفرغوا لأعمالهم، وتركوا الأمر الصحفى للمتحدثين الرسميين. صارت هناك مسافة كبيرة بين الصحافة والمسئولين الكبار، خاصة فى العقد الأخير.

فى المقابل، ليس كل المتحدثين الرسميين على نفس القدرة من إجادة العمل. بعضهم لديه حيوية وتواصل وتفاعل مع الصحافة والرأى العام، وهناك من يؤدى بهدوء وتردد. وطالما الأمر كذلك وهو مستقر ولا اعتراض عليه، فإنه ينبغى أن يتم تطوير منظومة الأداء لهؤلاء المتحدثين وفقًا للتطورات الحديثة، خاصة مع مزاحمة الوسائط الاجتماعية لوسائل الإعلام التقليدية، حتى فى المهام الإخبارية والتثقيفية التقليدية.

أتذكر أنه قبل عشرة أعوام تقريبًا، سألتنى وزيرة مثقفة، وهى أستاذة جامعية حققت نجاحات مهمة فى المجالين السياسى والأكاديمى، عن رؤيتى لتطوير الأداء الإعلامى فى أجهزة وزارتها. كانت تطمح لكى تقترب مع الرأى العام أكثر، وكانت مُطلعة على ما تقوم به الوزارات الشبيهة فى الولايات المتحدة وأوروبا. هناك يحرص المتحدثون الرسميون على أن يعقدوا مؤتمرات صحفية بشكل يومى. ويقدم الواحد فيهم، خلال المؤتمر، ملخصًا شاملًا لنشاط وزارته. وعندما يكون هناك حدث جماهيرى أو بيان مهم، يأتى الوزير بنفسه ليتحدث للصحافة. يلقى بيانه ويتحدث للإعلاميين ويستمع إلى أسئلتهم ويجيب عنها بشفافية وهدوء. طموح هذه الوزيرة لم يكن غريبًا أو جديدًا، بل كان تطورًا طبيعيًا للحادث حينها. كنا نستطيع أن نتواصل مع رئيس الحكومة أو الوزراء بشكل مباشر ودون تعقيدات. بل إننا أحيانًا ما كنا نقوم بتأجيل الموافقة على نشر الحوارات والندوات الصحفية مع كبار المسئولين، ونعمل على جدولتها حتى لا تطغى هذه الخدمة أو الوظيفة على باقى المهام الصحفية التى نقدمها للقارئ. وكان الوزراء يرحبون بالظهور فى البرامج الحوارية على الفضائيات والقنوات المحلية ومن داخل الاستديوهات، بل فى برامج تبث بشكل مباشر.

وكانت القيادة العليا تشجع على هذا النشاط والانتشار الإعلامى، خاصة مع تفجر أى من القضايا أو الأزمات الكبرى.. لأن هذا من شأنه أن يبنى جسور الثقة مع الرأى العام بنقل الحقائق دون وسائط، ويجعل المسئولية جماعية ولا تخص قيادة بعينها.

نصحت الوزيرة، المتحمسة للتواصل الجيد من الإعلام، أن تنظم أداء أجهزتها، وتمنح وسائل الإعلام المختلفة معلومات متخصصة وفيديوهات قصيرة ومواد توضيحية، تتناسب مع اهتمامات جمهورها المستهدف.. مع ضرورة الاهتمام بالمعلومات وتوثيقها، وعدم الاعتماد فقط على البيانات الرسمية الموحدة، بل تقليل نسبتها قدر الإمكان. كما نصحت بإنشاء قسم متخصص للتعامل مع وسائل التواصل الاجتماعى، ومتابعة كل ما ينشر بشأن أنشطة الوزارة أو المجال الذى تغطى، والتفاعل معه على مدار الساعة، على أن يكون ذلك التعامل بشكل إيجابى.

كل المقترحات التى قدمتها حينها، عندما أراجعها اليوم أجد أنها صارت قديمة، بل عتيقة جدًا. لست متخصصًا فى الإعلام الحديث، لكننى قدمت مشورتى من خلال عملى الصحفى وخبراتى المحدودة هنا وهناك. لكن أعترف الآن بأن الواقع قد تغير كثيرًا خلال العقد الأخير. واحد مثلى، يحتاج إلى إعادة تأهيل إعلامى وكورسات حديثة مكثفة، لكى يستطيع أن يطور نفسه ويتفاعل مع المستجدات فى صحافة البيانات والذكاء الاصطناعى وإنتاج الفيديو، وتصميم الوسائط المتعددة، والبرمجة، وإدارة مواقع التواصل الاجتماعى والمحتوى، وتحسين محركات البحث وهو ما نعرفه اختصارًا بـseo.

لقد قرأت مؤخرًا عدة مقالات عن أهمية تطوير الخطاب الإعلامى للحكومة مع تشكيلها الجديد. واستقرت هذه الآراء، التى قرأتها، إلى انتقاد منظومة الإعلام الحكومى بشكلها الحالى. ووضعت تصورات واقتراحات مهمة للغاية، لكننى هنا من واقع إلمامى بما وراء المنظومة الإعلامية هذه بصيغتها وبنائها الحالى، فإننى أدعو لإصلاح تدريجى لهذه المنظومة. ويبدأ هذا الإصلاح من الاعتراف بأن صفحات بعض المؤثرين وصانعى المحتوى على السوشيال ميديا باتت لها مصداقية أعلى، مقارنة بغالبية الصفحات الرسمية. وأنه لكى يتم تغيير هذا الوضع، ينبغى للصفحات الحكومية، بما فيها الصفحات الرسمية للوزارات أن تتواصل مع المؤثرين أو نسبة كبيرة منهم. كل بقدر تأثيره وانتشاره واحترامه لما ينشره. وأن يكون هذا التواصل بشكل دورى، ويكون الخطاب هادئًا للغاية ومقنعًا ومشفوعًا بالمعلومات والحقائق الموثقة. لا ينبغى أن يكون هذا التواصل على طريقة ما يصدر عن مركز معلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء، الذى لا يستهل بياناته المعلوماتية الدورية إلا بالفعل «نفى». هناك أفعال فى اللغة العربية أخرى غير هذا الفعل.. وهناك أيضًا وسائل وأساليب للإقناع والشرح، حتى لو تعلق الأمر بالتعرض إلى سيل من الأكاذيب والافتراءات.

أعترف بأن لدينا جهات حكومية تعمل بكفاءة ونشاط. بينها مركز معلومات مجلس الوزراء نفسه، وكذلك الجهاز الإعلامى لرئيس الحكومة. كما أن المتحدثين الرسميين يؤدون بشكل جيد، وعلى قدر المسئولية. لكن هناك ضرورة وجودية لتطوير منظومة الإعلام الحكومى، وبالأخص فيها ما يتعلق بالمتحدثين الرسميين للوزارات، لكى ينجحوا جميعًا فى التفاعل الجيد مع هذا الواقع الإعلامى الجديد.

أعترف بأن لدينا جهات حكومية تعمل بكفاءة ونشاط بينها مركز معلومات مجلس الوزراء نفسه، وكذلك الجهاز الإعلامى لرئيس الحكومة

منى حلمى

الفقر أهون من الأنوثة

كنت دائمًا أعتبر أن «الفقر» هو المأساة الكبرى، التى يمكن أن تصيب الإنسان، فلا أحد، فى أى مكان، يحب «الفقراء، وإن كانوا أطيب القلوب، وأنبل النفوس. للفقر جبروت، يمسح الطيبة، للفقر وطأة تحجب النبل. وإن تمتع الفقير بموهبة ما، فإنها تموت سريعًا قبل أن تكتمل، من قلة الطعام، ونقص التغذية. فالمواهب لا تنمو على معدة جائعة. وإن وُلد الفقير بصحة جيدة، فإنها تتدهور بالاستيقاظ كل يوم فى بيئة ملوثة، تصيبه بالأمراض وضعف المناعة.

لكننى غيرت رأيى، وبدا الفقر أمرًا هينًا، رحيمًا، مقارنة بالحدث «الجلل»، وهو «ميلاد أنثى» فى مجتمعاتنا.

إنها حقًا مؤامرة، تمت حياكتها عبر آلاف السنوات، لتنتج ثوبًا خشنًا، من الأسلاك الشائكة، والألغام المتفجرة، ترتديه المرأة منذ صرخة الميلاد حتى شهقة الموت.

فى مجتمعاتنا، نكتشف أن ما قاله الله، وما قاله الرسول، يتركزان بشكل جوهرى، وأساسى، وعضوى، فى تحديد معنى الأنوثة، ورسم مسارات لحركتها.

والذين يتكلمون باسم الله، وباسم الرسول، لا يذكرون شيئًا عن كيفية النمو الاقتصادى، وما هى الوسائل التى ترقى بالمستوى الثقافى، والإعلامى والإبداعى.

أنصار حزب «قال الله وقال الرسول» صامتون عن طرق تحسين جودة التعليم، والاكتشافات العلمية، والصحية، والزراعية والصناعية، وآليات التجارة الدولية، ومعايير البيئة الصحية، والتوازن البيولوجى.

الحقيقة أن مجتمعاتنا، التى يظهر فيها المشايخ ورجال الدين، باعتبارهم نجوم العصر، ليست لها مساهمة حقيقية تُذكر فى أى مجال.

إلا فيما يخص الأنثى، وجودها، طبيعتها، دورها، جسمها، عقلها، لبسها، صوتها، حواجبها، تعطرها، تزينها، ضربها، تأديبها، تعبدها، زواجها، نكاحها، طلاقها، تكفينها ودفنها.

كل ما يلمس الأنثى من قريب أو من بعيد هو «تخصص» كامل متكامل، تنفرد وتفتخر به مجتمعات الشيوخ ورجال الدين، وبامتياز، لا ينافسها أحد.

والهدف على المدى القصير والطويل هو الإبقاء على حركة «الأنثى»، داخل أربعة أماكن رئيسية، تكتب مصيرها، غرفة النكاح، غرفة الطبيخ، دورة المياه، القبر.

فى مجتمعاتنا، الأنثى كائن عاجز، خائف، موصى عليه، ممنْ يهمه أو لا يهمه الأمر. كائن تراقبه العيون، تتربص به الألسنة، مادة خصبة للإشاعات والقيل والقال.

مجتمعات ترى الأنوثة، عار، وعورة، فضيحة، وفتنة، توقظ شهوات الذكور، تقودهم إلى الرذيلة، والفحشاء، والتهلكة، وإغضاب الله والرسول. وأول شىء يجب أن تفعله هو أن «تتغطى»، مثلما تتغطى قطعة الحلوى، حذرًا من جلب الذباب.

شىء عجيب، أن الأنثى الكائن العاجز، الضعيف، المفعول به، لا يملك مصيره، ولا إرادته، ولا بد أن يعيش تحت كنف «ذكر»، يكون مسئولًا عن «الشرف»، وحماية مجتمعات «قال الله وقال الرسول» من الفسق والفجور والغرق فى ملذات الجسد المدنسة الآثمة.

فى هذه المجتمعات، تتحول الأنثى إلى مشروع جنسى متضخم، يحتمل تنفيذه فى أى وقت، تجتمع فيه بالذكر حاضر الشهوة دائمًا. والنتيجة الطبيعية لهذا الوضع هو تحول العلاقة بين الذكر والأنثى، إلى علاقة بين صياد جائع، وفريسة هاربة. ويصبح الجنس هاجسًا متضخمًا، إلى حد الهوس، والانحرافات المتعددة.

شاهدت على قناة متخصصة فى رصد الجرائم، كيف عاشر الأب الأرمل، ابنته المطلقة كأنها زوجته، حتى حملت. وعند القبض عليه، اعترف بسهولة وأريحية قائلًا: «طب وإيه يعنى.. أنا محتاج ومحروم.. وبنتى لازم تساعدنى فى أزمتى.. أمال باخلفها ليه؟».

وفى جريمة أخرى، حملت الأخت من أخيها، بعد علاقة عدة سنوات، وتخلصت من المولود بتركه أمام أحد الملاجئ. قال الأخ عند التحقيق معه: «بقى سنى تلاتين سنة ومتجوزتش.. وأختى زى القمر وجسمها فاير، وعايشة معايا.. مقدرتش وبعدين ده كان برضاها».

وشاهدت أيضًا، كيف الحفيد فى العشرين من عمره، بعد أن سرق جدته، اغتصبها جنسيًا، وهى فى الثمانين من العمر، والذى اعترف بالجرم: «لحظة شيطان وجدتى حليت فى عينيا».

ليس مستغربًا إذن أن تُثقل هذه المجتمعات، بأكبر نسبة من التحرش الجنسى والجرائم الجنسية، ونكاح المحارم. ولهذا الأسباب بالتحديد، هى لا تتوقف عن كلام الفضيلة والأخلاق والعفة.

وتبرر مجتمعات الشيوخ ورجال الدين، الحصار المحكم حول الأنثى، بأنه ضرورة لتعويض أنها «ناقصة عقل ودين». وهو ما يحولها إلى كائن مضطرب، مرتبك، متلخبط، معتل الذاكرة والتمييز، تسيطر عليه الانفعالات الهوجاء، والعواطف غير المتزنة.

لكن هذا الكائن المضطرب، بداخله شر عظيم. فهو يتحول عند الضرورة إلى كائن غدار، ماكر، خائن، يكيد بكل خبث ومهارة.

ولأننا نحب أمهاتنا، وهن السبب فى وجودنا، وإحساسنا بالاستقرار والأمان فى الأسرة، كما يقول المثل: «الأم تعشش والأب يطفش»، يكون لسان حالنا جميعًا، فى صرخة غضب كامنة فى القلب: «أمى ليست ناقصة عقل ودين.. أمى أحسن حاجة فى الدنيا». وعندما نسمع فى الشوارع الشتائم بالأم، نبتلع فى صمت، إهانة أحب وأقرب الناس إلينا. وهذا تناقض مخز، يصيبنا بالاضطرابات النفسية، والعاطفية.

إن القاسم المشترك بين الرجال الناجحين المبدعين الأسوياء، فى مجالات مختلفة، أنهم كانوا أطفالًا سعداء، يستمدون سعادتهم وكرامتهم من سعادة وكرامة أمهاتهم.

وشىء مألوف أن يعترف الرجل منهم قائلًا بكل فخر: «أمى هى التى صنعتنى».. «أمى علمتنى الكرامة».. «هذا من فضل أمى».

حقًا كيف تكون، وقد أوكل لها المجتمع، واحدة من أصعب وأهم المهام... تربية ورعاية وتنشئة الأطفال؟؟

فى مجتمعات الشيوخ ورجال الدين، الأنوثة حرفيًا «مأزق» وجودى حقيقى، و«مأساة» متشابكة الخيوط.

لا خير يُرجى فى مجتمعات تسحق وتهين «الأنوثة»، وكأنها الخطر الأكبر، والعدو الأشرس، يجب أن يُهزم، وأن يُذل.

لا خير يُرجى فى مجتمعات ترى نصفها من الإناث قطعًا من «الحلوى»، وترى نصفها الآخر من الذكور جيوشًا من الذباب.

> شاهدت على قناة متخصصة فى رصد الجرائم، كيف عاشر الأب الأرمل، ابنته المطلقة كأنها زوجته، حتى حملت وعند القبض عليه، اعترف بسهولة وأريحية

خِتامه شِعر

لا أشبه أحدًا من البشر
وهذه جريمتى التى لا تُغتفر
اخترعت لغة من رائحة الياسمين
وعبق البخور

لا أصفق لسلطان المدينة
لا أطيع الذكور
جريمتى التى لا تُغتفر
أننى أحرض السماء

على عناق المطر
عصية على التنبؤ والتوقع
لا أخاف كلام الناس
وأشتهى الخطر.

محمد رفعت

تفاءلوا.. بالأرقام

فى حياتنا الخاصة، نلجأ إلى التفاؤل ونعتمد على الله لنعطى للحياة طعمًا يفتح لنا أبواب الأمل. لكن فى الاقتصاد، تفتح أبواب الأمل بالأرقام والمعادلات الرياضية فقط. اقتصاد الدول لا يعرف الدعوات ولا التواكل، ولا حتى الأمنيات، فقط هى المعطيات والمؤشرات الاقتصادية التى تدعو إما للقلق ثم الحذر، أو تعطى الأمل وتدعو للتفاؤل.

ونحن ولله الحمد فى أمورنا الاقتصادية وصلنا لمرحلة الأمل والتفاؤل، الذى وصلنا إليه بما لدينا من أرقام تعلنها المصادر والمؤسسات المالية الرسمية. مصدر رفيع بالبنك المركزى أعلن بالأمس عن نمو هائل فى تدفقات النقد الأجنبى للسوق المحلية ليسجل زيادة بنحو ٢٠٠٪ فى الفترة السابقة، أى منذ صدور قرار تحرير سعر الصرف بنهاية شهر مارس الماضى وحتى الآن. فماذا يعنى ذلك؟

دراسة مهمة أجراها الباحث هانى الدمرداش بكلية الاقتصاد جامعة طنطا أكد فيها أن كل زيادة بنسبة ١٪ من تحويلات العاملين فى الخارج تؤثر إيجابيًا فى الاستثمار بنسبة ٠,١٣٪ فى الأجل الطويل و٠,١١٪ فى الأجل القصير. وتشير الدراسة إلى أن الزيادة فى تحويلات العاملين تحقق زيادة فى التطور المالى الذى يؤدى إلى زيادة حجم الاستثمار بـ٠,٣٣٪ فى الأجل القصير و٠,٣٩٪ فى الأجل الطويل على الترتيب.

وهنا وجب التأكيد أن تحويلات المصريين فى الخارج تلعب دورًا محوريًا وركنًا أساسيًا فى الاقتصاد المصري، يزيد من تلك القيمة احتلال مصر المرتبة الأولى على مستوى إفريقيا والعالم العربى والخامسة عالميًا من حيث إجمالى قيمة تحويلات المواطنين المقيمين فى الخارج.

تشكل تحويلات المصريين فى الخارج قرابة ٢٢٪ من التدفقات النقدية الأجنبية لمصر فى ٢٠٢٢-٢٠٢٣، رغم انخفاضها لظروف نعلمها جميعًا مثل تأثير الحرب الأوكرانية وما تلاها من أزمات اقتصادية عالمية، إلى جانب ارتباك سعر صرف الجنيه أمام العملات الأجنبية طوال العام الماضي.

يزيد من تفاؤلنا ما أشار إليه مصدر المعلومات بالبنك المركزى الذى أكد أن زيادة تحويلات المصريين بالخارج شهدت نموًا بمعدل ١٠٦٪ مقارنة بمستويات ما قبل توحيد سعر الصرف، وهو ما يعنى نجاح خطة تحرير سعر الصرف رغم تحفظنا على منهج التحرير بشكل عام، ولكنها الضرورات الاقتصادية.

وتؤكد لغة الأرقام وفقًا للمصادر الاقتصادية الرسمية أن قرار ضبط سوق الصرف الأجنبية ساهم بالعديد من النتائج الإيجابية، فى مقدمتها تحسن صافى الأصول الأجنبية للبنك المركزى لتسجل فائضًا قدره ١٠,٣ مليار دولار فى يونيو ٢٠٢٤ ارتفاعًا من سالب ١١,٤ مليار فى يناير ٢٠٢٤. وصافى الأصول الأجنبية للبنوك شهد أيضًا تحسنًا ملحوظًا ليسجل ٤,٦ مليار دولار فى مايو ٢٠٢٤ ارتفاعًا من سالب ١٧,٦ مليار دولار.

كل ما سبق يعنى شيئًا واحدًا، وهو أن نتفاءل بما هو قادم، وأن تحسنًا فى مستويات المعيشة لا بد أن نشعر به جميعًا. فقد سبق وعانينا جميعًا من ارتفاع فى نسب التضخم وعدم السيطرة على الأسواق نتيجة نقص فى العملات الأجنبية وانخفاض فى سعر الجنيه. ونعرف أننا دفعنا ثمنًا باهظًا فى سبيل الإصلاح الاقتصادي، لكن أن نرى بارقة أمل، فهذه مرحلة انتظرناها طويلًا وعلينا أن نسعد بها ونبشر بها أيضًا.

> سبق وعانينا جميعًا من ارتفاع فى نسب التضخم وعدم السيطرة على الأسواق نتيجة نقص فى العملات الأجنبية وانخفاض فى سعر الجنيه

ماجد حبته

روح ٢٣ يوليو

قريبًا، يبدأ العمل فى مركز «مجدى يعقوب رواندا مصر» لعلاج أمراض القلب، وبعد أقل من ٧٠ يومًا سيشهد شهر الرئاسة المصرية لـ«مجلس السلم والأمن الإفريقى»، شهر أكتوبر المقبل، فعاليات عديدة تستهدف تفعيل الرابط الثلاثى بين السلم والأمن والتنمية، الذى يتشارك فى أولوياته وأهدافه، أو يتكامل، مع ملف «إعادة الإعمار والتنمية فيما بعد النزاعات»، الذى يتولى الرئيس عبدالفتاح السيسى رياسته، وتستضيف القاهرة مركز الاتحاد الإفريقى المعنى به.

بطرح العديد من المبادرات فى القطاعات التنموية ذات الأولوية، وبتطوير العلاقات الثنائية ومتعددة الأطراف، وبتكثيف جهودها لحشد الموارد المالية لتمويل المشروعات، التى تضمنتها أجندة التنمية الإفريقية ٢٠٦٣، و... و... وبالدور الذى تلعبه «الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية»، التابعة لوزارة الخارجية، تواصل «دولة ٣٠ يونيو» البناء على إرث «دولة ٢٣ يوليو»، التى ساندت حركات التحرر الوطنى فى غالبية دول القارة السمراء، وفتحت لها مكاتب فى القاهرة، وقامت بتدريب كوادرها.

فى مثل هذا اليوم، منذ ٧٢ سنة، «اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم».. وقام رجال من قواتنا المسلحة بتطهير أنفسهم وولوا أمرهم لرجال يثقون فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم، قاموا، لاحقًا، بانتزاع السلطة من المستعمر وإنهاء وجوده العسكرى على التراب الوطنى، وانتشال الاقتصاد من تحت سيطرته، وحملة التمصير، والإصلاح الزراعى، و... و... وغيرها من منجزات «دولة ٢٣ يوليو»، التى لعبت، أيضًا، دورًا مؤثرًا ومحوريًا فى ثلاث دوائر تحركت فيها سياستها الخارجية، الدائرة العربية، ثم الإفريقية، ثم الإسلامية، غير أن توجهها نحو القارة السمراء كان قويًا للغاية، وترك إرثًا كبيرًا، ستجد أثره، إلى اليوم، فى غالبية المدن الإفريقية الكبرى، سواء فى شارع رئيسى يحمل اسم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر أو فى تمثال له بأحد ميادينها.

بروح ٢٣ يوليو، واستنادًا إلى إرثها عملت «دولة ٣٠ يونيو» على استعادة دور مصر المحورى، أو الذى كان محوريًا وأولت اهتمامًا خاصًا لعمقها الاستراتيجى، وقامت بتكثيف التواصل والتنسيق مع أشقائها الأفارقة، وحرصت على تعزيز علاقاتها مع دول القارة السمراء، منذ منتصف ٢٠١٤، ووصولًا إلى مشاركتنا فى فعاليات الدورة السادسة لاجتماع منتصف العام التنسيقى للاتحاد الإفريقى، التى استضافتها العاصمة الغانية أكرا، أمس الأول الأحد، والتى أكد خلالها الدكتور مصطفى مدبولى، رئيس مجلس الوزراء، أو جدد تأكيد استعداد مصر للعمل بكل جهد وإخلاص لتعميق التكامل الاقتصادى بين الدول الإفريقية الشقيقة، ودفع مُعدلات التنمية فى دول القارة، بما يُسهم فى رفع مستوى معيشة شعوبها.

شارك رئيس الوزراء فى الاجتماع نيابة عن الرئيس عبدالفتاح السيسى، الذى يترأس حاليًا اللجنة التوجيهية لرؤساء دول وحكومات وكالة الاتحاد الإفريقى للتنمية، النيباد، التى تضع على رأس أولوياتها الإسراع فى تفعيل «اتفاقية التجارة الحرة القارية» وتعزيز استفادة الدول الأعضاء منها، والربط بينها وبين برنامج تطوير البنية التحتية فى دول القارة، فى إطار برنامج تنمية البنية التحتية الإفريقية، وممرات البنية التحتية الخضراء، خطة الطاقة الرئيسية القارية، وتنفيذ السياسة الزراعية الإفريقية المشتركة، وغيرها من المبادرات ذات الأولوية بالنسبة لدول القارة، و... و... وتطوير شراكاتنا مع دول العالم، لكى تُحقق تلك الشراكات الهدف الرئيسى منها، وهو خدمة أولويات ومصالح القارة وشعوبها.

استنادًا إلى إرثها عملت «دولة ٣٠ يونيو» على استعادة دور مصر المحورى

. وأخيرًا، لعلك تتذكر أن عشرات الملايين الذين ملأوا شوارع مصر وميادينها فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣، ثم فى ٢٦ يوليو من السنة نفسها، كان بينهم كثيرون يحملون صورًا لجمال عبدالناصر، عليها عبارة «ثورة أحرار.. حانكمل المشوار». ولعلك تتذكر، أيضًا، أنهم لم يطالبوا فقط بإسقاط حكم المرشد، وكنس جماعة الإخوان وتطهير البلاد منها، بل طالبوا، أيضًا، بتحقيق أهداف تكاد تتطابق مع الأهداف الستة التى قامت من أجلها ثورة ٢٣ يوليو: القضاء على الإقطاع وأعوانه، القضاء على الاستعمار، القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم، إقامة حياة ديمقراطية سليمة، إقامة جيش وطنى قوى وتحقيق العدالة الاجتماعية.

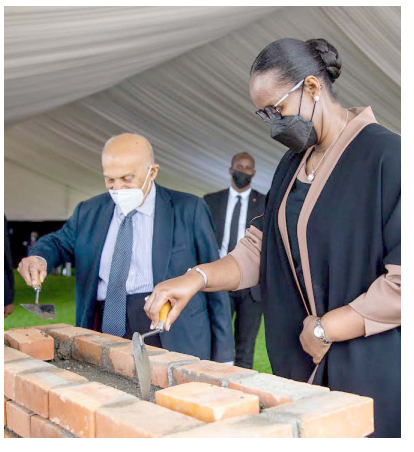

ليلة «ساهرة» للفصحى وللرقى.. فى العلمين

محمد عبدالعزيز

ليلة جديدة من ليالي مهرجان العلمين الذي تنظمه الشركة المتحدة تحظى بحضور جماهيري كثيف، فتزداد معها قيمة هذا المهرجان رسوخًا وتزداد ملامحه اتضاحًا ويزداد الجمهور تعلقًا به وانتظارًا لحفلاته، سواء بالحضور الشخصي، أو بالتلهف على المتابعة التليفزيونية لمن لم تسمح له ظروف الوقت أو المسافة أو المال بذلك.

زاد بهاء الليلة بتألق القيصر كاظم الساهر ودقة اختياراته أغنيات أطربت جمهورًا كثيفًا بلغ عدة آلاف. حضور أصر على وصفه بأنه راقٍ، وهي كلمة تلخص كثيرًا من المعاني رغم بساطة المفردة. انتظرنا طلّة كاظم فوجدناه كما أطل على جمهور مصر لأول مرة قبل نحو ٢٩ عامًا في مهرجان الأغنية العربية، إذ بدا متألقًا، متأنقًا، متمكنًا، ثابتًا، قادرًا على جذب الانتباه منذ اللحظة الأولى وحتى لحظة مغادرة خشبة المسرح مودعًا بتصفيق حاد لجمهور وقف بكامل عدده احترامًا لمطرب احترمه وأحبه فبادله الجمهور ذات المشاعر.

ورغم سعادتي باستعادة نغمات وذكريات أغنيات الساهر القديمة- شأني في هذا شأن حضور الحفل- إلا أنني كنت أتمنى أن يقدم لنا بعض الأغنيات الجديدة، وتلك قضية أخرى ينبغي أن نثيرها لاحقًا فيما يخص الساهر وغيره من كبار مطربينا، إذ يكاد يكون نجوم الغناء قد توقفوا عن طرح إنتاج غنائي جديد ويكتفون في حفلاتهم باستعادة إنتاجهم القديم من ألبوماتهم السابقة.

لاحظت أيضًا خلال متابعتي الحفل رقيًا ذكّرنا بحفلات العمالقة في زمن مضى ومضت لياليه الساهرة الجميلة حين كانت تشدو أم كلثوم فتسكرنا، ويطربنا الكبار أمثال العندليب والأطرش وفيروز وغيرهم. هي إذن سهرة غنائية أكدت رقي المستمع المصري وحسن استقباله للّحن الشجي وتذوقه لعذب الكلمات. شدو جعلني أؤكد قناعاتي بأن المطرب هو من يصنع جمهوره، وتلك ثوابت رسّختها متابعاتي لحفلات مطربين ارتقوا بكلمات وألحان أغنياتهم فحافظوا على مستوى متميز من الجمهور المتذوق الذي لا يزال محافظًا على استقبال الأغنية بأذنيه وحواسه، وليس بأطراف وأرداف راقصة تتمايل مع صخب الموسيقى، بينما هم لا يعون الكلمات المبتذلة لحفلات الزار التي طغت عليها نغمات إيقاعية فأسموها- على سبيل الخطأ- أغنيات أو مهرجانات.

ويظل الجمهور المصري نموذجًا لحسن استقبال الثقافات الشقيقة واستيعاب مفرداتها واحتواء لهجاتها وتذوق نغماتها. فعلنا هذا قديمًا مع فايزة، فريد، صباح، وردة، طلال مداح، نجاح سلام، محمد عبده، أحمد فتحي، وديع الصافي، عزيزة جلال وميادة. ثم جاء بعدهم جيل آخر مثل لطيفة، أصالة، نانسي، مجد القاسم، الرويشد، راغب، الحلاني، الرباعي، الشاعري وصولًا إلى جيل جنات.

شدا كاظم خلال الحفل بقصائد فصحى، في ليلة طربية تطمئن كل سدنة اللغة العربية الفصحى وتنفي حججًا باطلة روّج لها أنصار الإسفاف والقبح والتدني والسقوط الفني. كان تجاوب الحضور مع تلك الكلمات الراقية دليلًا جديدًا على نبذ الجمهور الكلام السُوقي، والنغم الصاخب، والمعاني المبتذلة، والألفاظ النابية. نعم، فالجمهور «مش عايز كده»، الجمهور يبحث عن الرقي، فإذا وجده احتضنه واحتفى به وأحسن استقباله كما فعل مع كاظم في حفله قبل أيام، وكما يفعل مع أنغام والحجار والحلو ومنير ومدحت وآمال ماهر وحنان ماضي ومي فاروق ومروة ناجي وريهام عبدالحكيم.

أمر أخير ينبغي ألا نغفله في تلك الحفلات إذ لا يمكن أن نتجاهل هذه الصورة التليفزيونية المبهرة التي نقلتها لنا نحو ٢٥ كاميرا ثابتة ومتحركة وطائرة، بأعين فنية متمرسة لمصورين مبدعين وكفاءة مشهودة لشباب مصريين صاروا خبراء في المجال، كالمخرج أحمد النبوي مشرف النقل والبث والتصوير لحفلات وفعاليات وبرامج المهرجان، وروعة الكادرات لمحمد يونس مخرج حفل القيصر، وبإدارة سلسة لإسلام عبدالحكيم مدير الشركة المتحدة للإنتاج الفني، ومعه كتيبة أخرى كبيرة من المحترفين الموهوبين في كافة المهام الفنية والهندسية والتنظيمية.

توقفت كثيرًا عند مشهد لافت هو أعمار جمهور الساهر الذي لمع وتألق عندما قدم أول حفلاته في مصر قبل نحو ثلاثين عامًا كاملة، فالملاحظ أن معظم الحضور الجماهيري كان من الشباب بل من أطفال صغار أيضًا، وهو الأمر الذي لفت انتباه القيصر نفسه، إذ توقف عند طفلة لم تتجاوز التسع سنوات وهي تطلب منه أغنيات بعينها وتردد معه كلمات أشهر قصائده، ليسألها معقبًا باندهاش: متى حفظت كل هذه الأعمال؟ والإجابة ببساطة في رأيي هي أن الفن الجيد لا يحتاج إلحاحًا، بل يحتاج بيئة فنية تشجع على الرقي وتدعو إلى الجمال فتقدمه للناس عبر وسائط متاحة ومجانية، وهو ما كانت تفعله ولا تزال الإذاعة المصرية والتليفزيون الرسمي، وهو الدور الذي تقوم به اليوم بكل كفاءة الشركة المتحدة بكل خدماتها الإعلامية والفنية والدرامية بل والصحفية أيضًا.

> شدا كاظم خلال الحفل بقصائد فصحى، في ليلة طربية تطمئن كل سدنة اللغة العربية الفصحى وتنفي حججًا باطلة روّج لها أنصار الإسفاف والقبح والتدني والسقوط الفني

محسن الفحام

محاولات يائسة للجماعة البائسة

لم أفاجأ ببيان وزارة الداخلية الذى أعلنت فيه القبض على الشخص الذى استخدم إحدى اللوحات الإعلانية فى شارع فيصل لنشر صور مسيئة للدولة المصرية، وتبين أنه فنى شاشات تم تحريضه من قبل جماعة الإخوان الإرهابية للقيام بتلك الجريمة، ويرجع السبب فى عدم مفاجئتى بما حدث أننى أعلم أن أجهزة وزارة الداخلية وقطاعاتها المختلفة لديها من الإمكانيات البشرية والتكنولوجية ما يؤهلها إلى ضبط مثل تلك القضايا مهما بلغت درجة تعقيدها.

وهناك سبب آخر يتعلق بجماعة الإخوان فى أنها تمر بأضعف أطوار حياتها، وإنها تعيش حاليًا فى مرحلة الأفول، وبالتالى تحاول كوادرها أن تلملم أشلاءها، وأن تثبت أنها ما زالت موجودة على الساحة، فتلجأ على شبكات التواصل الاجتماعى من خلال شبكات عنقودية لنشر الفتن وترويج الشائعات والإساءة إلى رموز الدولة، وذلك من منطلق أن هذه الجرائم الإلكترونية لا تحتاج إلى وجود الجانى فى مسرح الجريمة، وإنما تتم عن بعد ولا يتم فيها استخدام أسلحة أو الأدوات الأخرى التى تستخدم فى الجرائم الإرهابية الأخرى، إنما تتطلب معرفة الجانى بوسائل التكنولوجيا الحديثة.. كما أنها لا تتطلب مواجهات مع رجال الأمن ويصعب الإيقاع بمرتكبيها وهو ما يتطلب من الأجهزة الأمنية المهارة والخبرة المطلوبة فى تلك المواجهات وهو ما تم بالفعل، ويحسب لوزارة الداخلية فك طلاسم الجريمة فى أقل من ٤٨ ساعة من وقوعها.

لقد اعتادت جماعة الإخوان الإرهابية رسم سيناريوهات مختلفة طبقًا لكل مرحلة تمر بها، وهى الآن فى مرحلة ضعف واستكانة، وهو ما جعلها تبحث عن أساليب جديدة لاستقطاب وتجنيد المستهدفين فى هذه المرحلة وهم كما رأينا إما متخصصون فى التكنولوجيا والسوشيال ميديا أو من لديهم القدرة على التغلغل بين أوساط الشعب لنشر الأكاذيب والشائعات بينهم، وهو ما يسمى بمرحلة «التهيئة» فى محاولة للظهور العلنى من جديد.

لقد شاءت طبيعة عملى أن أتعامل مع العديد من كوادر وقيادات جماعة الإخوان فيما قبل يناير ٢٠١١ وحتى أوائل عام ٢٠١٣، حيث كانت تلك القيادات تحاول التودد لدى أجهزة الأمن مؤكدين سلمية تحركاتهم داخل إطار الدولة تحت شعار «مشاركة لا مغالبة»، وسرعان ما تحول ذلك إلى صدامات دامية عندما استولوا على السلطة، وراحوا ينشرون الذعر ويمارسون سياسة الإقصاء لكل من يقف أمامهم، ورأيناهم وهم يصدرون قرارات من مكتب الإرشاد للانفراد بحكم البلاد وإصدار قرارات رئاسية غير دستورية تعطى للرئيس سلطات مطلقة، وقاموا بإقالة النائب العام عبد المجيد محمود فى سابقة هى الأولى من نوعها، كما طالبوا أجهزة الأمن بمنع ملاحقة أى عنصر له علاقة بقوى الإسلام السياسى، وصدرت قرارات عفو رئاسى عشوائى للعناصر الإرهابية الصادر بشأنهم أحكام قضائية بالإضافة إلى منح ما يقرب من ٨٠ ألف فلسطينى من قطاع غزة الجنسية المصرية بصورة أثارت علامات استفهام نحو مخطط لتوطين الفلسطينين فى سيناء.

ناهيك عن إجراء تعديلات وزارية دفعت من خلالها كوادر إخوانية فى المواقع الوزارية المهمة للسيطرة على مفاصل الدولة.. وغيرها من القرارات التى دفعت الشعب المصرى إلى الخروج فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ لإسقاط حكم تلك الجماعة المارقة وإلى سقوط حكم المرشد لتعود الجماعة مرة أخرى إلى مرحلة الكمون والاستكانة وترقب الأوضاع الداخلية للبلاد لعلها تستطيع أن تظهر مرة أخرى على ساحة الأحداث فهى لن تهدأ عن ممارسة نشاطها الجبان والمختفى وراء الحاسبات الإلكترونية الوهمية بأسماء مستعارة لنشر الأكاذيب والشائعات والتحريض مستغلين فى ذلك بعض الأشخاص الجهلاء أو من هم فى حاجة الى العمل أو المال لدفعهم بالقيام بأفعال تربك المشهد الداخلى للبلاد وتضعهم تحت طائلة القانون، أما المحرضون على ذلك فهم يقبعون فى جحورهم كالجرذان أو من الهاربين من البلاد لكونهم مطلوبين للعدالة فى قضايا تخريب وإرهاب وتحريض.

إن تاريخ تلك الجماعة بدأ أسود يعتمد على الكذب والقتل والترويع ودوافعهم أكثر سوادًا، حيث أثبتت القضايا التى تم ضبطها على مدى قرن من الزمان أن جماعة الإخوان الإرهابية وراء كل تنظيم إرهابى تم ضبطه مهما كانت المسميات التى تطلق عليه، وهى دائمًا ما تكون سندًا له لتحقيق أهدافهم المشتركة.. وما زال المخطط قائم وما زالت الضغوط تمارس علينا فى ظل ثبات الموقف المصرى من قضايا المنطقة شرقًا وغربًا وجنوبًا.. إلا أننا نراهن دائمًا على يقظة الشعب المصرى الذى اكتشف حقيقة تلك الجماعة الإرهابية البائسة، وكذلك تلك المحاولات اليائسة التى تحاول أن تطلع برأسها كرأس الأفعى لتثبت أنها ما زالت موجودة ولديها القدرة على الحركة والتأثير على الشعب المصرى الأصيل والذى اكتسب من الخبرة والوعى ما يمكنه من إجهاض أى محاولة يقوم بها أعداؤهم مهما حاولوا.

إننى أناشد من هنا جموع الشعب المصرى بضرورة اليقظة والاهتمام، والوعى بمحاولات تلك الجماعة البائسة التى تحاول الوصول إلى الشارع المصرى مرة أخرى، وأكبر دليل على ذلك تلك الدعوة مجهولة المصدر للنزول فى مظاهرات ضد النظام يوم الجمعة ١٢ يوليو، لجس نبض الشارع وعاودت الدعوة مرة أخرى فى الجمعة التالية ١٩ يوليو.. وبين الجمعتين تم تجنيد هذا الشخص الذى قام بعرض إعلانات مسيئة، وتم ضبطه واعترافه بالتحريض الذى تعرض له... كل هذه مؤشرات تدل على أنها تحاول ولكنها لن تنجح مرة أخرى فى أى خطوة تخطوها ما دمنا على قلب رجل واحد ينتمى لهذا الوطن العزيز ولدينا من الوعى ما يجهض تلك المحاولات أولًا بأول بإذن الله.

إننى أناشد من هنا جموع الشعب المصرى بضرورة اليقظة والاهتمام، والوعى بمحاولات تلك الجماعة البائسة التى تحاول الوصول إلى الشارع المصرى مرة أخرى

محاسن السنوسي

رسالة إلى وزير التعليم

أحدث أخبار «السوشيال ميديا» إعلان وفاة فتاة صينية تدعي « فيت بان شياوتينج» البالغة من العمر ٢٤ عاما أثناء بثها المباشر لمحتوي تناول الطعام بكثرة علي الفيس بوك.. تبدو الحكاية غريبة من نوعها وإن كان عالم «السوشيال ميديا» يأخذنا لما هو أبعد من ذلك إلي عالم الجريمة التي ترتكب باسمه نتيجة عدم الوعي بخطورة التعامل مع هذه التطبيقات المرتبطة بشبكة الإنترنت، خاصة الجرائم التي يرتكبها صغار السن بهدف التقليد أو الإستخدام الأعمي لهذه الأدوات.

البعض يري أن غياب دور الأسرة والسماح للأولاد باستخدام والتعاطي لهذه الوسائل الإعلامية الجديدة دون رقابة أدي إلي انتشار مثل هذه الأخطاء والوقوع في مشاكل قانونية نتيجة الجهل بقواعد «السوشيال ميديا».بين الحين والأخر يصل إلينا أخبار القبض علي «بلوجر» فتاة أو شاب، بتهمة بث مواد مخالفة للقانون نتيجة عدم الالمام بالقوانين و عدم اتباع المحاذير التي تنشرها هذه التطبيقات، فالغالبية العظمي من مستخدمي هذه الوسائل غير معني بقراءة المحاذير أو الإطلاع علي قواعد الظهور علي هذه التطبيقات.. الحقيقة أن الأسرة ليست وحدها المسئولة عن ارتكاب مثل هذه الجرائم نظرا لأن أغلبهم هم أيضا لاتدركون مدي خطورة التعاطي مع هذه الوسائل الجديدة، فالأب والأم أيضا يتعرضان لمثل هذه المواقف لاسيما أن استخدام الهاتف المحمول واتصاله بشبكة الإنترنت بات واقعا لامحالة الإستغناء عنه فلا أحد يقف ضد التطور التكنولوجي ولا يمكن غض الطرف عنه..

إذن نحن أمام واقع مفروض علي الجميع وبحاجة لإعادة النظر في طريقة استخدام هذه الوسائل التكنولوجية بمفهوم جديد مختلف... لن أسرد عليكم كم الجرائم التي ارتكبها البعض ولن أخوض كثيرا في أسباب الوصول إلي هذا الحد من الجرائم التي باتت تشكل ظواهر خطيرة تهدد أمن وسلامة المجتمعات ليس في مصر فقط بل في كل العالم وان كان الفيصل بينا وبين الدول الأخري أن كل دولة لها قوانين وتشريعات خاصة .. لكن هناك اتفاق عام أن الجريمة يتبعها تطبيق القانون.

> معالى وزير التعليم الإهتمام بالعقل النقدى هو الحل والملاذ من أجل جودة التعليم

هذا الأمر ينقلنا إلي عدة تساؤلات أهمها هل لوسائل التواصل الإجتماعي تشريعات وقوانين خاصة عالمية تطبيق علي مرتكب مثل هذه الجرائم؟ الإجابة ببساطة أن مخترعي هذه الوسائل لم يهتموا كثيرا بالقوانين والتشريعات في بداية الأمر، علي سبيل المثال حين أنشأ الطالب الأمريكي «مارك زوكربيرج» صفحة «الفيس بوك» ٢٠٠٤ لم يكن لديه أي غرض من هذه الصفحة سوي التواصل مع زملائه داخل جامعة «هارفرد»، ومن ثم تم تطوير هذا التطبيق المرتبط بالشبكة العنقودية «الإنترنيت» وتم اضافة برامج جديدة من صور وفيديوهات ومكالمات هاتفية عابرة للقارات وبث مباشر، وفي المستقبل القريب نتوقع ماهو أكثر من ذلك بعد تزويد الفيس بوك بـ«الميتا فيرس» سنجد عالما أخر ثلاثي الأبعاد علي هذه الوسائل الإعلامية الجديدة التي فرضت نفسها علي حياة البشر... لم يكن الـ«فيس بوك» هو الإضافة الوحيدة لعالم التواصل الإجتماعي، هناك العديد من هذه الوسائل التي تجتاح حياتنا بعيدا عن الالتزام الأخلاقي أو القانوني، ذلك أن الشريكات المنتجة لهذه الوسائط المتعدة تبحث عن المكاسب وتحقيق المزيد من الأرباح بغض النظر عن اختراق القانون الإنساني والقوانين والأعراف لكل مجتمع أو دولة.

وللخروج من المسائلة القانونية لمنشئي «السوشيال ميديا» وضعت هذه الشركات ضوابط عامة بهدف حمايتها من المسائلة القانونية الدولية ، وهذه الشروط وضعت بعناية تفرضها علي المستخدمين لهذه الأدوات، حين يبدأ الفرد بفتح حساب شخصي تجد أمامك مجموعة من الشروط يجب الموافقه عليها قبل فتح الحساب، وهذه الشروط هي أشبه بعقد إزعان من طرف واحد.. أهم مبادئ السوشيال ميديا التي تحرص عليها ، احترام خصوصية الأخر، لا للتنمر، لا للعنصرية للانتهاكات السياسية ، فضلا عن لاءات أخري بعيدة كل البعد عن القوانين الخاصة لكل دولة، في النهاية نجد انفسنا أمام فوضي عارمة تحت مسمي «الحريات» واحترام الحرية الشخصية المطلقة، .. الواقع أن هذه الفوضي أو مايسمي بحرية «السوشيال ميديا» هي السبب الرئيسي لانتشار الجريمة التي ترتكب دون وعي بالقوانين أو الإلتزام بالآداب العامة .

السؤال الأهم هل من تشريعات دولية ملزمة لصناع التكنولوجيا ؟ .. الحقيقة ان العالم يقف عاجزا في وضع قوانين ملزمة لمواجهة هذه الشركات العابرة للقارات من أن تتصدي لها، ومن ثم يبقي أمام الدول أن تطبق العقوبات علي مرتكبي جرائم الإنترنيت وفقا لقانون العقوبات الخاص بكل دولة ، وان كانت كل دولة تحرص علي أن يكون لديها وثيقة تشريعات وأخلاقيات تتعلق بجرائم الإنترنيت إلا أن هذه الوثيقة تظل استرشادية وغير ملزمة .

في ظل هذه الفوضي التي يرتكبها مستخدمي الـ«سوشيال ميديا» أو ما هو أخطر من ذلك من جرائم " "web darkأحد تطبيقات الشبكة العنقودية «الإنترنيت» الذي يحتاج إلي برمجيات أكثر تعقيدا من استخدام الـ«سوشيال ميديا»، ذلك العالم المظلم الذي اقتحم حياة المصريين بجريمة بشعة عرفت إعلاميا بجريمة «سفاح التجمع» الذي خطط ونفذ جريمته عن طريق «الويب المظلم» ... كل هذه الجرائم تجعلنا في المواجهة وإيجاد حلول عملية وعلمية، فالعلم يواجع بالعلم وإعمال العقل، وفي هذه المساحة.. ألا يحق لنا أن نطالب السيد الدكتور محمد عبداللطيف، وزير التعليم بأن تصبح دراسة التطبيقات المتعلقة بشبكة الإنترنيت وخاصة تطبيقات السوشيال ميديا ، مواد دراسية بعيدة عن المجموع الكلي للطالب، أي ليست مواد تقدير درجات، وتقدم للطالب في شكل أبحاث علي أن يعكف كل طالب بتقديم بحث مبسط حول أحد التطبيقات مثل، الفيس بوك، الانستجرام، الواتس أب، تطبيق"x" تويتر، كما يتسني للطالب شرح وعرض نشأة هذه التطبيقات وأهدافها ومميزاتها وعيوبها وكيفية استخدامها، معرفة الخطأ القانوني الذي يقع فيه البعض عن دراية أو عن جهل.. والأهم هو أن يقدم الطالب وجهة نظره بأن يكون لديه عقل نقدي يشرح ويوضح ويفسر من منظوره الشخصي كيف يمكن استخدام هذه الوسائط دون الوقوع في أخطاء وكيفية التصرف اذا كانت هناك مشكلة ..

معالي وزير التعليم الإهتمام بالعقل النقدي هو الحل والملاذ من أجل جودة التعليم.

د. محمود خليل

مهندس التحول إلى «الحكم العائلى»

تتميز الشخصيات الخطرة، عبر التاريخ، بالقدرة على إحداث تحولات كبرى فى مسار الأحداث ومصائرها، إنها قادرة على الإمساك باللحظات المفصلية، واستغلالها فى إعادة هيكلة شكل الحياة، ورسم خرائط جديدة لها، ووضع خطوط فاصلة بين مرحلتين، مرحلة ما قبل الدخول إلى مسارح الأحداث، ومرحلة ما بعد الدخول والتأثير على مسارح الحياة.

لا تجد شخصية ينطبق عليها هذا الوصف مثل «مروان بن الحكم» مهندس التحول من حكم الخلافة الراشدة إلى الحكم العائلى الوراثى فى العصر الأموى، الرجل الذى قام- فى تقديرى- بدور أخطر من معاوية بن أبى سفيان فى تأسيس الدولة الأموية، والذى ظل يخطط من وراء حجاب، على مدار عقود، للوصول إلى سدة الخلافة، حتى نجح فى ذلك، ليصبح الحكم له ولأولاده من بعده. جلس مروان بن الحكم على مقعد الخلافة عام ٦٤ هجرية، بعد أن مكث يخطط ويدبر ويسعى للجلوس على هذا المقعد منذ عام ٢٣ هجرية «سنة تولى عثمان بن عفان الخلافة»، أى لمدة تقترب من أربعة عقود، نال بعدها هدفه، لكنه لم يمكث على كرسى الحكم سوى عدد من الشهور، ليتم اغتياله بعدها بطريقة شديدة الغرابة.

مروان بن الحكم من مواليد سنة ٢ هجرية، ما يعنى أنه عاصر النبى، وحين توفى صلى الله عليه وسلم «عام ١١ هجرية» كان عمره لا يزيد على ٩ سنوات، ويعنى ذلك ابتداءً أن وصف البعض له بـ«الصحابى» ليس فى محله، فلا يعقل أن يُنعت بهذا الوصف لمجرد أنه عاصر النبى خلال سنواته الأخيرة، فصحبته صلى الله عليه وسلم أساسها الدور والبلاء الذى أبلاه الصحابى فى الدفاع عن الإسلام، حتى مكّن الله تعالى لدينه الذى ارتضاه للناس، ولا تنهض مجرد المعاصرة الزمنية كمعيار موضوعى على ذلك، فما بالك إذا كانت المسألة تتعلق بطفل ولد أواخر حياة النبى، وعاصره لبضع سنوات قبل أن تصعد روحه الشريفة إلى بارئها.

ومروان هو ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشى الأموى. يشير «شمس الدين الذهبى» فى «سير أعلام النبلاء» إلى أن الحكم بن أبى العاص ابن عم أبى سفيان بن حرب. وقد ظل كافرًا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، ومعاديًا له، ولم يُسلم إلا بعد الفتح، مثله مثل أبى سفيان. وقد قرر النبى بعدها نفيه إلى الطائف لكونه حاكاه فى مشيته وبعض حركاته. يشير «ابن كثير» فى «البداية والنهاية» إلى أن «البيهقى» أورد أن رجلًا حاكى النبى، صلى الله عليه وسلم، فى كلام، واختلج بوجهه، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: كن كذلك، فلم يزل يختلج ويرتعش مدة عمره حتى مات، وقد ورد فى بعض الروايات أنه الحكم بن أبى العاص، أبو مروان بن الحكم. وقد كان من المسائل التى اعترض عليها المتمردون على عثمان بن عفان أيام الفتنة الكبرى كونه عطف على عمه الحكم وآواه وأقدمه إلى المدينة، ووصله بـ١٠٠ ألف. ويذكر «ابن كثير» أيضًا أن النبى، صلى الله عليه وسلم، وصف الحكم بن أبى العاص قائلًا: حية، أو ولد حية، عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه، إلا المؤمنين، وقليل ما هم، ليترفوا فى الدنيا، ويوضعوا فى الآخرة، هم ذوو مكر وخديعة، يعطون فى الدنيا، وما لهم فى الآخرة من خلاق.

ولم يكن لعثمان، رضى الله عنه، أن يأتى مثل هذا الفعل فيكرم رجلًا أساء إلى النبى، صلى الله عليه وسلم، إلا تحت ضغط، وكان الضغط نابعًا من مروان بن الحكم الذى انضم إلى بلاط الحكم، وأصبح واحدًا من بطانة «عثمان»، وهو فى أوائل العشرينات من عمره. والواضح أن «مروان» كان من ألمع شباب قريش، بسبب حسبه ونسبه، ناهيك عما تمتع به من قدرات عالية فى الإدارة، جعلته يأخذ موقعًا متقدمًا داخل دوائر الحكم، بمجرد أن تولى الخلافة واحد من العائلة الأموية، وهو الخليفة الراشد الرابع عثمان بن عفان، رضى الله عنه. وقد تمتع «مروان» بتأثير كبير على الخليفة، برز أول ما برز فيما يتعلق بأبيه الحكم بن أبى العاص، فأعاده عثمان وأكرمه، بعد أن نفاه رسول الله إلى الطائف، ولعنه ولعن من يخرج من صلبه إلا المؤمنين. وتتعجب من تأثير شاب بعمر مروان بن الحكم فى ذلك الوقت «وكان عمره بضعًا وعشرين سنة» على شيخ بحجم عثمان، رضى الله عنه، وكان عمره حين تولى الخلافة ٦٨ سنة، وظل على كرسيها حتى عمر الـ٨٢ «بالحساب الهجرى». وقد ظهر تأثير مروان على الخليفة فى مواقف أخرى عديدة بعد ذلك، وكلها تشهد على أننا لم نكن بصدد شاب عادى، بل أمام رجل طامح إلى تمكين بنى أمية، الذين آمنوا والسيف فوق رقابهم، بعد فتح مكة، من حكم المسلمين.

ولكى تعرف خطورة الدور الذى قام به مروان فى تاريخ المسلمين عليك أن تتذكر المقاومة العنيفة التى قادها «بنو أمية» على وجه التحديد لرسالة الإسلام، وهى المقاومة التى تزعمها كبار الأمويين، مثل أبوسفيان بن حرب، الذى قاد المشركين فى معركة بدر، والحكم بن أبى العاص، الذى كان يسخر من النبى، صلى الله عليه وسلم. هؤلاء وغيرهم- من رجال بنى أمية- ممن مكثوا على الكفر، ولم يسلموا إلا بعد أن يئسوا من أن تقوم لهم قائمة فى مكة بعد أن فتحها النبى، ظلوا يخططون لاستعادة القيادة والزعامة على العرب من جديد، تحت راية الإسلام هذه المرة، وقد قام بالدور الأهم على مستوى الاستعادة شباب بنى أمية، وأهمهم وأخطرهم مروان بن الحكم.

كان من ألمع شباب قريش، بسبب حسبه ونسبه، ناهيك عما تمتع به من قدرات عالية فى الإدارة، جعلته يأخذ موقعًا متقدمًا داخل دوائر الحكم

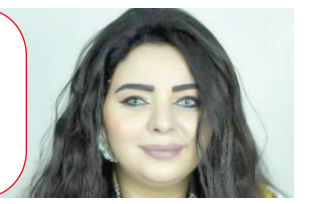

هند جاد

مع احترامى للحرامى

من سلة الحكايات.. أستعين ببعض الأفلام والمسلسلات والأشعار والكلمات لكى تعبر عن مضمون الحكاية والفكرة. قصص ملهمة وعبر مستدامة تدوم، يتضح من خلالها أنواع كثيرة من أطياف السيكولوجية الإنسانية المفقودة، أفكار لا مفر منها، وتحدوا الشر بالإيمان يا أبطال الحياة.
من سبقونا، احترقوا بالتجارب والاختبارات والأخطاء والاختيارات أيضًا.. وأصبحوا رمادًا، ومن الرماد خرجت الأفكار.. تحلق فى الآفاق. وتسكن القلب والعقل لتنير طريق من لم يلحقوهم.

فى وقفة مع النفس، سألتها: متى نضجتِ؟
وماذا يحدث فى داخلك؟
ومن قتل عفويتك، وسرق أمانك؟
وما الذى يجعلك تشعرين بالخذلان؟ ماذا ومتى وكيف وأين..؟
وهل تستحقين ما أنت عليه؟
وهل تستحقين كل هذه الاختبارات؟
وما مقياس قوتك؟ وما مسطرة صبرك؟
وهل فقدتِ الأمل والشغف والنور والحق والإحسان والاستمرار والقوة؟
فى عالم مضطرب يحصل على جميع الثروات، ضاربًا بعُرض الحائط كل المواثيق الإنسانية.
وهذا يعنى ببساطة.. أنك لست فى المدينة الفاضلة.
عليكِ التسلح والتحصين الإنسانى الذى ضج وفر من ضمائر لا تعمل، وشرور لا تنتهى.. تنتشر عبر البشر.
فلا يدرون ما فعلوا فى نفوس من طينة العز وصك المبادئ الإنسانية!

لعل كل منا لا ينسى..
أول الأشياء الحلوة، والعكس تمامًا من الأشياء التى لا تنسى، والأخطاء والعثرات والتحديات التى لا تنتهى بمرور الوقت. ويبقى فى الذاكرة.. الأول فى كل شىء.. فهل رأيت ذات مرة سرقة أحدهم أو حتى نفسك التى سرقت؟
هل رأيتِ ذات مرة ظلمًا يقع على ضعيف؟
هل رأيتِ ذات مرة مبادئ تنتزع.. وتتغير فى غمضة عين؟
هل قابلتِ عديم الشرف.. سارق الأحلام؟
هل غيرتِ مبادئك أم ما زلت تصنعنين مبادئك وقانونًا يحمى الحلم ويحمى قلبك من التلف؟
كيف تجعلين من القانون.. سندًا يحمى الحلم فى قلوب الإنسانية؟
كيف تجعلين من القانون.. ما يعيد ترتيب المبادئ التى لا تتغير، وإيمانًا ثابتًا لا يزول.. حتى لا يتم تبديد الأمل فى رحلة أقدار لا مفر منها؟

هذه كلمات.. تغنت بها آمال ماهر من سلة الحكايات..
مع احترامى للحرامى.. صاحب المجد العصامى..
صبر مع حنكة وحيطة..
ابتدا بسرقة بسيطة.. وبعدها سرقة بسيطة..
وبعدها تعدى محيطة.. وصار فى الصف الأمامى..
احترامى للحرامى.. صاحب النفس العفيفة..
صاحب اليد النظيفة.. جاب هالثروة المخفية..
من معاشه فى الوظيفة.. صار فى الصف الأمامى..
احترامى للحرامى.. يولى تطبيق النظام أولوية واهتمام..
ما يقرب للحرام إلا فى جنح الظلام..
صار فى الصف الأمامى..
يسرق بهمة دءوبة.. يكدح ويملا جيوبه..
يعرق ويرجى المثوبة.. ما يخاف من العقوبة..

صار يحكى فى الفضاء.. عن نزاهة ما مضى..
وكيف أمن بالقضاء.. وغير حقه ما ارتضى..
صار فى الصف الأمامى..
عن قوانين ونصوص.. احترامى للنقوص..
احترامى للفساد.. وأكل أموال العباد..
والجشع والازدياد.. والتحول فى البلاد..
من عمومى للخصوص..
احترامى لـ اللصوص..

> أنتِ لست سيئة لأنك ارتكبتِ أخطاء.. الأخطاء هى تجارب.. تجعلك أكثر قيمة كإنسانة

مع احترامى للحرامى..
نحتاج إلى أبطال أقوياء فى الحياة..
لا شك أننا سوف نواجه ثغرات، وأشرارًا ولصوصًا منمقة واختبارات ضخمة.. لذلك يجب أن يحيا الضمير فى كل خطوة.
نقطة ومن أول الصبر..
ليتنى أعرف كل معاجم اللغة.. لكى أعبر عن كل التجارب..
أحيانًا أتخيل أننا فى رحلة، وأن المعاجم هى النور التى نرشد بها جيلًا جديدًا.. قادمًا بعدنا..
كالجبال لا يزال.. حاملًا الآمال..
حامل الآمال فيك قوة عزمنا.. وفصول يملأها الشغف.. وطرق تملأها الأسرار..
أنتِ لست سيئة لأنك ارتكبتِ أخطاء.. الأخطاء هى تجارب.. تجعلك أكثر قيمة كإنسانة..
عندما ارتكب كريستوفر كولومبس خطأ ملاحيًا.. أدى به إلى اكتشاف أمريكا..
وخطأ ألكسندر فليمنج.. قاده إلى اختراع البنسلين..
الأخطاء التى تتعلمين منها.. هى التى تجعلك محترفة ومتفردة.. لا تشبهين أحدًا سوى نفسك..
بصمة واحدة.. لا تتكرر..
أنا مهتمة بالأشخاص الإنسانيين الذين يضحكون على أخطائهم.. وهم الذين ينجحون، والذين يفهمون.. نداءهم، ولا يختبئون من المسئولية.
يدافعون عن الكرامة الإنسانية.. ويريدون أن يكونوا بجانب الحقيقة والعدالة والإنصاف والحق..
ورغم ضربات القدر، استطاعوا النهوض والحفاظ على الروح والقلب السليم..
هدفى هو الوصول إلى النهاية..
انسجمى مع نفسك ومع ضميرك ومع أحبائك..
كنت تعتقدى أن لديك ألف حياة، لكن تبين أن لديك حياة واحدة فقط لا غير.
حياة واحدة.. يجب عليكِ أن تعيشيها بكرامة

د. محمد عفيفى

الحرب بسيف التاريخ

يُعرَّف التاريخ دائمًا بأنه أحداث الماضى، وفى القرن التاسع عشر كان هناك مَن يرى أن التاريخ ليس هو الماضى، بل هو كابوس على رءوس الأحياء. من هنا عرفت البشرية، للأسف الشديد، الكثير من الحروب الدامية، لعل أشهرها الحروب العالمية، بالقطع لأسباب تنافسية استعمارية لكنها تلفحت بعباءة التاريخ.

من هنا أدرك العالم المتمدن مدى أهمية دراسة التاريخ، لاستخلاص العِبر، وتجنب تكرار أخطاء الماضى، وهو ما يسمى «تجاوز التاريخ» أى فهم التاريخ وتجاوزه للعبور إلى المستقبل، وبالتالى يتحول التاريخ إلى دراسة أكاديمية، وليس سجالًا يوميًا، وذريعة لحروب جديدة تدمر البشرية.

ولكنى أزعم أننا فى عالمنا العربى، وللأسف الشديد، ما زلنا نعيش فى كهف التاريخ، ما زلنا أسرى الماضى، وكل جماعة وكل حزب، بل ربما كل فرد مع تطور وسائل التواصل الاجتماعى، صنعوا لهم تاريخًا خاصًا، أى رسموا صورة خاصة للماضى، وحاولوا فرض هذه الصورة على الآخرين. وأتذكر هنا نهاية السبعينيات وبدايات الثمانينيات، عندما اشتعل الجدل حول ثورة يوليو: ثورة أم انقلاب؟ طفرة أم اقتطاع فى التاريخ المصرى؟ فى ذلك الوقت صك الصديق العزيز أحمد عبدالله مصطلحًا مهمًا فى هذا الشأن هو «المتحاربون بسيوف التاريخ»، ونظم أحمد عبدالله ندوة موسعة حول هذا الجدل، شاركت فيها أطياف عدة من الوسط التاريخى والثقافى، وبالقطع الوسط السياسى. ولا أعتقد أن هذه الندوة استطاعت الوصول إلى نقطة وسط فى هذا الجدل، بل ازدادت الهوة اتساعًا، وتوهم كل طرف تاريخًا خاصًا به، لذلك أصر أحمد عبدالله، عندما نشر كتاب الندوة بعد ذلك، على الإشارة لهذه الظاهرة الخطيرة «الحرب بسيف التاريخ» عنوانًا لبحثه فى هذا الكتاب.

وأتذكر أنه سبق هذه الندوة، لا سيما فى نهايات السبعينيات، محاولة من جانب الرئيس السادات لمعالجة هذه الظاهرة؛ إذ قام بتشكيل لجنة حكومية لكتابة تاريخ ثورة يوليو، وترأس هذه اللجنة نائب الرئيس آنذاك حسنى مبارك، وأدى ذلك إلى محاولة صناعة تاريخ رسمى لثورة يوليو. ومع اغتيال السادات جُمِدَت أعمال اللجنة. وأتذكر أنى قابلت المرحوم الدكتور صبحى عبدالحكيم، الرجل الثانى فى هذه اللجنة، وسألته عن مخرجات هذه اللجنة، وأين ذهبت وثائقها، والتسجيلات الشفوية التى أُجريت مع شهود ثورة يوليو؟ وقال لى إنه تم تسليم كل ذلك للجهات المختصة، ولا يعرف شيئًا عما آلت إليه الأمور بعد ذلك.

تداعى إلى ذهنى كل هذه الذكريات، وأنا أتابع «السيرك السنوى» المعتاد على صفحات التواصل الاجتماعى مع حلول شهر يوليو كل عام، والحرب بسيف التاريخ حول يوليو وما قبلها، وزاد الأمر فى السنوات الأخيرة بالجدل حول يوليو وما قبلها وما بعدها، وفى رأيى أن هذه الظاهرة ليست صحية على الإطلاق؛ إذ صنع كل طرف تاريخًا خاصًا به، لكن الأسوأ محاولة فرض هذا التاريخ على الآخر، والسخرية من تصورات التاريخ عند الآخر، وتحول كل فرد منا إلى مؤرخ، أو هكذا ظن. وانصرفنا عن مناقشة الحاضر، ورسم سيناريوهات المستقبل، لأننا فى الحقيقة ما زلنا أسرى الماضى، نعيش فى كهف التاريخ، ولكل قبيلة منا تاريخها الذى ترفعه فى وجه القبيلة الأخرى. ويبدو أن هذه ظاهرة خاصة بغياب إعمال العقل، واللعب على العواطف، والهروب إلى الماضى، ويبدو أنها ظاهرة عربية أصيلة. وأتذكر هنا مقولة الشاعر الكبير نزار قبانى: «فتاريخنا كله محنة.. وأيامنا كلها كربلاء».. كربلاء الدين، وكربلاء التاريخ.

> أزعم أننا فى عالمنا العربى ما زلنا نعيش فى كهف التاريخ، ما زلنا أسرى الماضى، وكل جماعة وكل حزب صنعوا لهم تاريخًا خاصًا

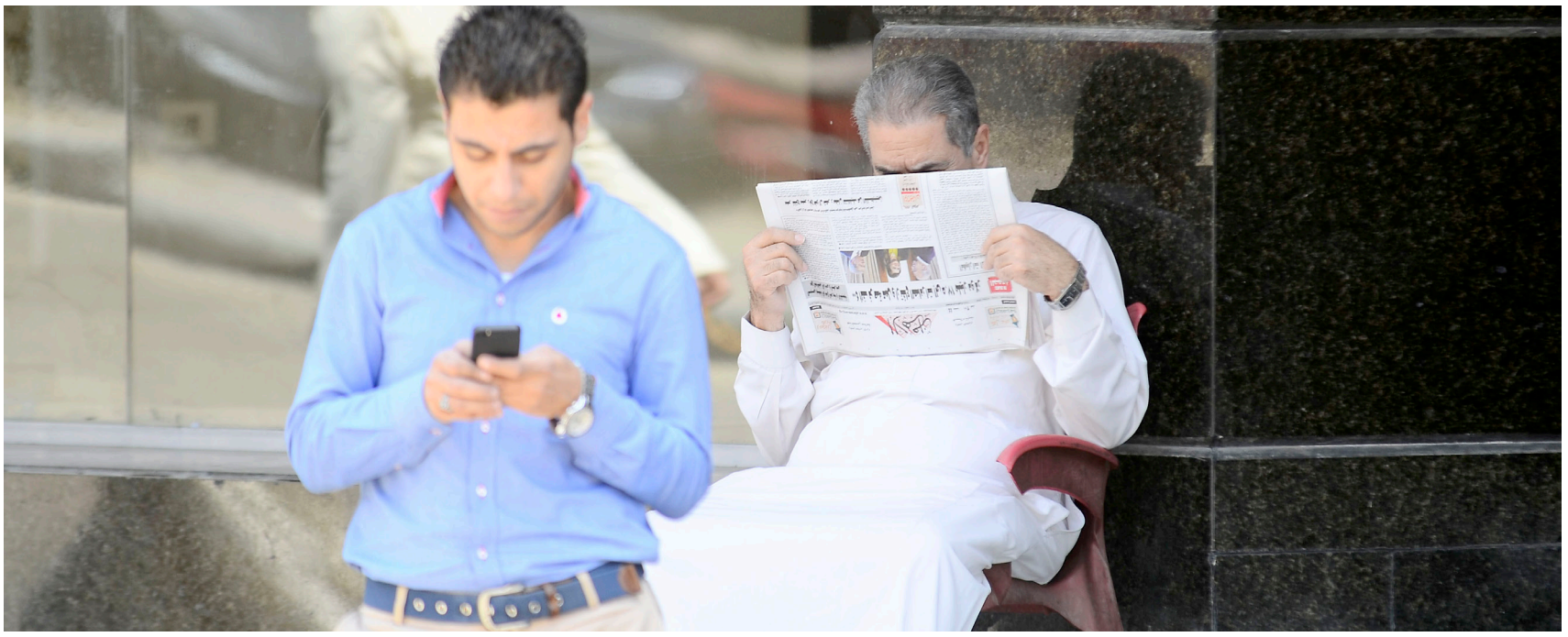

حسين عثمان

مستقبل الصحافة المصرية

لا أحد يملك ناصية الحقيقة
الفكرة دائمًا هى البطل
الحرية لم تكن يومًا بلا قيود والإبداع لم يكن يومًا بلا حلول

«امسحى دموعك يا سناء» مقال الكاتبة الصحفية الكبيرة سناء البيسى بجريدة الأهرام لم يدهشنى بقدر ما تفاعل الجمهور معه سواء من داخل المهنة أو من خارجها، والسبب قطعًا ليس رفضى أو تحفظى على مضمونه أو حتى تأييده فى المطلق، وإنما لأنى قرأته فى سياق إنسانى قادر على استيعاب فضفضة من هى فى عمر وعمق وحجم تجربة سناء البيسى، فمثلها وُلِد وعاش فى أحضان كبار المهنة وكبرائها، كما أنها عاشت أزهى عصور صاحبة الجلالة ولا نبالغ إذا أكدنا أنها حقًا ساهمت فى صنع أمجادها فى فترات طويلة منها، وهو ما يفسر ألم وحزن سناء البيسى وقلمها أيضًا كلما غاب عن صفحتها السبت أسبوعيًا بال«الأهرام».

المقال فى الواقع له عدة أوجه تستحق الطرح فى العموم بعيدًا عن حالة «البيسى» الخاصة، وفى تقديرى كلها يتصل بمستقبل الصحافة المصرية، فهو أولًا يجدد أهمية وجود تواصل فعال بين الأجيال، تواصل قائم على دوافع الاحتواء والتوجيه ونقل الخبرات مهنيًا وإنسانيًا، والعبء الأكبر فى هذا بلا شك يقع على عاتق الكبار، وضعًا فى الاعتبار أن البعض الآن كبير لمجرد أنه لا يوجد كبار، لكن على أى حال كل من هو فى موقع القيادة واجب عليه أن يمنح الشباب حقه فى التعليم والتدريب والتوجيه ومنح الفرص قياسًا فقط على معيارى الموهبة والاجتهاد، بل وأن يضع هذا على قمة أولوياته، بكل أسف الأبقى أثرًا يتوه الآن وسط صخب الحياة وزحمتها وأشياء أخرى.

فإذا ما تقدم الجيل التالى وتولى موقع المسؤولية، فله كامل الحق فى طرح رؤيته والاجتهاد تجاه تحقيقها واقعًا على الأرض، وليس من الضرورة بأى حال من الأحوال أن يحافظ فقط على ما تحقق قبله، ومع ملاحظة أن كل جيل يعمل وفقًا لمناخ عصره ومعطياته وأدواته وتوجهاته وقيوده، وهى الموجودة بطبيعة الحال فى أى صناعة فى كل عصر وإن اختلف وزن كل منها أو نسبته حسب الظروف والأحوال والتطورات، ومن ضمن هذه المعطيات وفى مقدمتها المزاج العام وشرائح المتلقين على اختلافها، فلا يصح قياس أى تغيير فى منتج أو محتوى إلا على معايير حاضره بعيدًا عما تقدم فى ماضيه أو ما ينتظره مستقبلًا، وهذا كله لا يمنع تقييم تجربة كل جيل فى عمومها سلبًا أو إيجابًا.

مقال «البيسى» أيضًا يأخذك دون قصد لمراجعة مسيرة الصحافة المصرية لسنوات طويلة مضت، وكقارئ راصد شاهد عيان على مدار أربعة عقود الآن، أجزم بالقطع أن معاييرها المهنية فى تراجع شديد، وخاصة فى سنوات انفلات ما بعد ثورة يناير وحتى الآن والمتزامنة مع سطوة السوشيال ميديا، تلك التى لعبت الدور الأكبر فى خلل هذه المعايير، ودفعت فى اتجاه السطحية وغياب المعلومات والتقول على المصادر والسبق الزائف وأخيرًا وليس آخرًا لعنة الترينند، فى الاتجاه الموازى تراجعت منظومة توزيع الصحف والمجلات، وأصبح نادرًا أن تشاهدها معروضة هنا أو هناك بعدما كان الشارع الواحد به أكثر من موزع، وفى إطار إعادة هيكلة المؤسسات الصحفية القومية شاهدنا دمج الإصدارات والاكتفاء بالنسخ الإلكترونية من بعضها، واستسلم الجميع لفكرة اندثار الصحافة المطبوعة، ولم يفكر أحد حتى فى أن يودعها وداعًا يليق بها.

الاستسلام لفكرة سطوة الإلكترونى أكبر جريمة ارتكبها المحسوبون على المهنة، والجريمة الأكبر أنهم ظلوا على نمطيتهم فى إنتاج محتوى الإلكترونى، والمدهش أنهم يتباكون فى كل وقت عندما يطرحون فى أسى ارتفاع معدلات توزيع الصحف والمجلات المطبوعة فى الخارج، وإلى حد عودة البعض منها للصدور ورقيًا بعد سنوات من توقفها، وأيضًا عندما يتوقفون بإعجاب أمام غلاف أو عنوان أو مادة صحفية مواكبة لملامح عصر أصبح مختلفًا فى كل شىء، وكناشر له الآن أربع سنوات فى سوق النشر، أقطع بأن كل وسيلة لها قراءها، فلا إلكترونى على حساب الورقى أو العكس، كما أن الورقى له طوال الوقت سحر وسر قادران على مخايلة وجدان القارئ من مختلف الأجيال وفى كل عصر، ولكنها أزمة منظومة التوزيع فى صحف أو مجلات أو كُتُب مرة أخرى.

التعميم لا ينفى تجارب إلكترونية سباقة بدأت بالفعل من المستقبل، واستطاعت أن تحجز مكانها بقوة فى بلاط صاحبة الجلالة الديجيتال، هذه التجارب منها مواقع إلكترونية، ومنها إصدارات بصيغة PDF، وكلها سر نجاحها شكل جذاب، ومحتوى يواكب إيقاع العصر ومزاج القارئ، بل ومنها ما يصل إلى حد الارتقاء بوعيه ووجدانه، هذه الإصدارات الرقمية حلت المعادلة الصعبة مبكرًا وهو سر سبقها، كما أنها وضعت المعايير المهنية أساسًا لا تحيد عنه، وهى داخليًا على حد علمى ومتابعتى تحقق طوال الوقت فكرة تواصل الأجيال بفاعلية تجعلها عفية قارئة لمستقبلها لسنوات طويلة قادمة، وجميعها بالقطع يعمل فى ظروف صعبة خاصة من ناحية الموارد والإمكانيات، ولكنها تجتهد فى تعزيز قيمة المهنة.

مستقبل الصحافة المصرية فى تقديرى يتلخص فى عدة قناعات، أن الفكرة دائمًا هى البطل، المحتوى قبل الوسيلة، المعرفة دائمًا تصنع الفارق، الموهبة والاجتهاد كافيان لخلق الفرص، كل جيل حقه تمامًا أن يأخذ فرصته كاملة، الحرية لم تكن يومًا بلا قيود والإبداع لم يكن يومًا بلا حلول، الاحترام والمهنية والتواصل الفعال أساس نجاح أى وكل منظومة، المؤسسات عمرها أطول من الأشخاص وأننا جميعًا لا نملك إلا أن نترك بصمة، فاجتهد فى ترك بصمتك ولا تحمل هَم بصمات مَن بعدك، فلا أحد يملك ناصية الحقيقة وكله اجتهاد نسبى فيما هو فى الأصل نسبى.

مقال «البيسى» أيضًا يأخذك دون قصد لمراجعة مسيرة الصحافة المصرية لسنوات طويلة مضت، وكقارئ راصد شاهد عيان على مدار أربعة عقود الآن

أحمد الصغير

السنوار فى الميزان

يحيى إبراهيم حسن السنوار أو يحيى السنوار لم يكن معروفا قبل السابع من أكتوبر الماضى إلا لمتابعى الشأن الفلسطينى، حتى غالبية هؤلاء المصريين الذين يعتبرونه بطلا إسلاميا الآن ربما لم يسمعوا هذا الاسم قبل ذلك التاريخ؛ فجأة أصبح اسم السنوار على كل الألسنة، وصورة وجهه الصارم صارت خلفية لشاشات القنوات الإخبارية، وأصبح له مريديون ومهووسون يضعونه فى مرتبة واحدة مع رجال الصف الأول من مجاهدى الصحابة رضوان الله عليهم؛ ونشط مصممو الجرافيك التابعون للجماعات التى تعتقد معتقده، فجعلوا من صورته بمسدسه البارز من جاكت بذته الأنيقة أيقونة للجهاد والبطولة وحركات التحرر؛

ميزان أهل غزة.. ميزان الطب النفسى.. ميزان القيم الأخلاقية والدينية

السنوار فى الميزان

ميزان أهل غزة.. ميزان الطب النفسى.. ميزان القيم الأخلاقية والدينية

فمن هو يحيى السنوار؟ وكيف يراه الآن تحديدا أصحابُ القضية الحقيقيون أو أهل قطاع غزة بعد مرور عدة أشهر على بدء هجمات السابع من أكتوبر؟! فهل يرونه مثلا بطلا شعبيا لمقاومة شريفة ضد احتلالٍ غاشم، أم يرونه مهتزا أو مختلا نفسيا وغير لائق لأن يكون مسؤلا عن قرارات مصيرية تخص ملايين البشر، ويرونه مجردا من كل مشاعر وصفات الإنسانية ولا يأبه بسفك الدماء ولا يهتز للمقتلة التى سقط ضحيتها عشرات الآلاف من أبناء غزة؟! وما هو التوصيف الطبى النفسى ليحيى السنوار كما تم تدشينه فى وثائق طبية فلسطينية؟ وهل كان لائقا من ناحية الطب النفسى لأن يكون القائد الأول والحاكم الفعلى لقطاع يسكنه أكثر من مليونى إنسان؟ وهل كان لائقا من هذه الناحية لأن يتخذ مثل تلك القرارات المصيرية؟! فى هذه الأسطر أحاول الاقتراب من هذه المناطق الشائكة، التى أزعم أن الجميع قد تحرج من الاقتراب منها، أو حتى التفكير بها، خاصة فيما يتعلق بمدى أهلية هذا الرجل لذلك الدور الذى قام به.. لو لم تكن للدماء التى تم سفكها القوة الكافية لشرعنة هذا الاقتراب، فإن ما دفعته ولا تزال تدفعه مصر من أثمان لما قام به هذا السنوار يمنح لأى مصرى الشرعية الكاملة ليس للاقتراب فقط، بل للتساؤل ولإلقاء ما يعن له من إجابات فى وجوه الجميع!

منذ أكثر من أسبوعين كان هناك على صفحات التواصل الإجتماعى ما يشبه استبيان وجهه فلسطينى لأهل قطاع غزة ليعبروا عن رؤيتهم فيما حدث، بعيدا عن أى انتقائية، فجاءت كلماتهم كوثيقة يجب ألا تمر دون توثيقها حتى إذا ما مرت الشهور والسنوات لا يتم العبث بعقول الناس! بجانب ذلك هناك شهادة فلسطينية أخرى مهمة مصدرها أستاذ جامعى ينتمى لنفس فكر معسكر السنوار.. وثالثا لدينا أكثر من وثيقة طبية صدرت عن مراكز طبية فلسطينية رسمية تتعامل مع الآثار النفسية التى يعانى منها الخارجون من السجون الإسرائيلية!

لكن قبل أن أخوض فى عرض هذه التفاصيل الموثقة، وقبل أن أعرض لما أعتقد أنه إجابات عما ذكرته من تساؤلات، يجدر بنا أن نلقى بعض الضوء على سيرة يحيى السنوار الشخصية حتى نعرف عمن نتكلم، وذلك حسب ما هو معلن ومنشور من معلومات وحسب ما تابعناه من أحداث منذ المشهد الأول قبل حوالى عشرة أشهر حتى الآن!

هو يحيى إبراهيم حسن السنوار المولود فى أكتوبر عام ١٩٦٢م بمخيم خان يونس.. أنهى تعليمه الثانوى بمدرسة المخيم والتحق بالجامعة الإسلامية بغزة حتى حصل على بكالوريوس لغة عربية، ثم عمل مدرسا للغة العربية.. تزوج متأخرا فى العقد الخامس من عمره وتحديدا عام ٢٠١١م بعد إطلاق سراحه من السجون الإسرائيلية.. انضم لحركة حماس فى مرحلة مبكرة وأصبح من الوجوه البارزة داخل الحركة أثناء حياة مؤسسها الشيخ أحمد ياسين، وهو صاحب فكرة تأسيس جهاز الأمن والدعوة (مجد)، وهو الذى أقنع ياسين بذلك لكى يتولى الجهاز ملف علماء إسرائيل من الفلسطينيين وكان ذلك عقب خروجه من السجن بعد اعتقاله للمرة الأولى عام ١٩٨٢م لمدة أربعة أشهر، ثم تم اعتقاله للمرة الثانية عام ١٩٨٥م لمدة ثمانية أشهر. وكان اعتقاله للمرة الثالثة عام ١٩٨٨م وحكم عليه بأربعة مؤبدات لاتهامه بقتل أربعة فلسطينيين اتهمهم بالعمالة لصالح إسرائيل واتهامه بتأسيس جهاز عسكرى للحركة باسم (المجاهدين الفلسطينيين). قضى بالسجن ٢٢ عاما حتى أفرج عنه عام ٢٠١١م فى صفقة الإفراج عن الجندى الإسرائيلى جلعاد شاليط.

> اعتنق فكرة رئيسية ترفض حل الدولتين وتؤمن عقائديا أنه صراع أبدى دينى صفرى لا يقبل إلا أن يزيح أحد الطرفين الآخر عن الحياة

بعد خروجه من السجن حتى أكتوبر عام ٢٠٢٣م كانت هناك عدة محطات مهمة فى حياته، حيث تم انتخابه بعد الإفراج عنه مباشرة كعضو للمكتب السياسى للحركة وبدأ الإشراف على كتائب عز الدين القسام. بعد انتهاء العدوان على غزة عام ٢٠١٤م أمر بتحقيقات وتقييم شامل لأداء القيادات الميدانية وقام بإقالة عدد من تلك القيادات البارزة. فى عام ٢٠١٥م أدرجته الولايات المتحدة مع محمد الضيف قائد كتائب القسام وروحى مشتهى عضو المكتب السياسى على قوائم الإرهاب. وفى عام ٢٠١٧م تم انتخابه رئيسا للمكتب السياسى للحركة خلفا لإسماعيل هنية وتم انتخاب خليل الحية نائبا له. لم يكن يفضل أى تقارب مع السلطة الفلسطينية عكس قيادات الحركة السابقة له.

عام ٢٠١٨م كان له تصريح يكشف جانبا من شخصيته التى ستظهر بعدها بسنوات قليلة، حيث قال ساعتها نحن مستعدون للموت وسيموت معنا عشرات الآلاف. عام ٢٠٢١م تم إعادة انتخابه مرة أخرى. أى أنه هو الحاكم الفعلى لقطاع غزة منذ عام ٢٠١٧م حتى هجمات السابع من أكتوبر. هناك واقعة مثيرة وقعت فى ١٥مايو ٢٠٢١م، حيث استهدفت غارة إسرائيلية منزله. ظهر بعدها علنا عدة مرات أهمها يوم ٢٧ مايو من نفس العام حيث عقد مؤتمرا صحفيا ذكر خلاله أنه سيعود إلى منزله بعد المؤتمر سيرا على الأقدام، وتحدى وزير الدفاع الإسرائيلى جالانت أن يقوم باستهدافه! وبالفعل نفذ ما قاله وتجول على قدميه بصورة علنية ولم يتم التعرض له رغم استهداف منزله قبلها بأيام، ما يلقى بكثير من الغموض على طبيعة ما يحدث خلف الستار بين حكومة غزة وقتها بقيادته والحكومة الإسرائيلية!

بدأ تأثير إيران القوى على القطاع وقياداته يعلن عن نفسه بشكل ملفت منذ عام ٢٠١٦م واستمر ذلك التأثير بشكل تصاعدى فى السنوات التالية، أى أثناء وجود السنوار كحاكم للقطاع. ففى نوفمبر من عام ٢٠١٦م اغتالت عناصر من القسام المواطن الفلسطينى مثقال السالمى بتهمة التشيّع وذلك بمخيم الشاطئ. نشبت خلافات حادة بين عائلة القاتل وعائلة المقتول، حيث كانتا تتجاوران هناك. تدخل إسماعيل هنية لامتصاص غضب إيران حيث كان السالمى عضوا بحركة (الصابرين) الشيعية المؤسسة عام عام ٢٠١٢م التى تتلقى دعما مباشرا من إيران شأنها شأن حماس! قبل واقعة الاغتيال ضمت حركة الصابرين المئات من سكان القطاع، وكانت تحيى المناسبات الشيعية مثل إحياء الذكرى الأربعينية للحسين. قامت حماس وقتها باعتقال المئات منهم، ثم أفرجت عنهم بعد تدخل إيران.

من هذه السيرة الشخصية للسنوار يمكن أن نحدد مكونات شخصيته الفكرية والسلوكية منذ نعومة أظافره حتى يوم السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣م كالآتى.

عايش مأساة شعبه منذ مولده بمخيم الشاطئ. كانت دراسته تقوده بقوة تجاه جماعة الإخوان المسلمين. اعتنق أفكارها أثناء حياة قياداتها الأولى وتشبع بالأفكار المتطرفة دينيا قبل انتقال الحركة لمرحلة المساومات السياسية واتباع سياسة التحالف مع الشيطان!

واعتنق فكرة رئيسية ترفض حل الدولتين وتؤمن عقائديا أنه صراع أبدى دينى صفرى لا يقبل إلا أن يزيح أحد الطرفين- اليهودى والعربى- الآخر عن الحياة أو عن الوجود على هذه الأرض. ويمكن أن نتخيل معتقداته بالمقارنة بتلك التى عايشناها فى مصر فى الأربعة عشر عاما الماضية.

تعرض للسجن ثلاث مرات- أربعة أشهر ثم ثمانية أشهر وأخيرا اثنين وعشرين عاما- وخرج بعد أول تجربة سجن أسيرا لفكرة ضرورة التفتيش عن الخونة والعملاء من الفلسطينيين - حسب أدبيات وأحكام الجماعة- وتصفيتهم بشكل فورى مباشر. ظهر ذلك فى تكوينه

السنوار فى الميزان

ميزان أهل غزة.. ميزان الطب النفسى.. ميزان القيم الأخلاقية والدينية

لذلك الجهاز بعد تجربة السجن الأولى، ثم فى تصفية أربعة فلسطينيين، ثم بعد عدوان ٢٠١٤م حين أقال كثيرا من القيادات الميدانية. دون أن يشعر أصبح السنوار وجماعته هم القضاة الذين يدينون أى مواطن فلسطينى بتهمة العمالة، وهم أيضا السلطة التنفيذية الفورية التى تنفذ الحكم وهو القتل!

وأصبح الهاجس الأمنى مسيطرا بشكل كبير على شخصية السنوار تماماً، كما يسيطر على العقلية الإسرائيلية الحاكمة! وربما يكون لهذا الهاجس نصيبٌ مما يشعر به الكثيرون من ضبابية مشاعر السنوار وبعض قيادات حماس تجاه أهل غزة فى العدوان الغاشم الأخير.

ولقد تجلت تلك الضبابية فى تصريحات لكلٍ من السنوار ومرزوق. ففى تصريح خطير فى الشهر الماضى وذلك فى رسالة موجهة لقادة الحركة السياسيين يقول السنوار (طالما أن المقاتلين ما زالوا صامدين ولم نخسر الحرب، فيجب إنهاء هذه الاتصالات على الفور.. لدينا القدرة على مواصلة القتال لأشهر.. علينا أن نمضى قدما على نفس المسار الذى بدأناه أو فلتكن كربلاء جديدة!)، وعن الخسائر فى صفوف المدنيين قال (إنها تضحية ضرورية ستزيد الضغط على إسرائيل عالميا، وأن نصر رئيس الوزراء الإسرائيلى فى هذه الحرب سيكون أسوأ من الهزيمة!).

يجمع تناقضات من أقصى التطرف الدينى السنى الذى تدعى حماس أنها تمثله إلى التأثر بإيران بعد ارتماء الجماعة فى أحضانها؛ حتى إنها أصبحت مثلها مثل الأذرع الإيرانية الأخرى، حتى إن هجمات أكتوبر تم اعتبارها انتقاما لمقتل شخصية إيرانية بارزة من ناحية، ومن ناحية أخرى الإفراج عن معتقلى الجماعة فى السجون الإسرائيلية.

اعتقد السنوار أن سيناريو خروجه من السجن فى صفقة شاليط يمكن تكراره لو كان لدى حماس أكثر من شاليط! لقد أُلقت هذه الفكرة الضباب على عقله كاملا حتى نطقت ألسنة بعضهم أنهم لم يتوقعوا رد الفعل الصهيونى!

المكون الإيرانى فى شخصية السنوار ظهر فى تصريحه عن كربلاء، وفى الواقع هذا لا يختلف كثيرا عن إيمان جماعة الإخوان أو حماس بنفس فكرة كربلاء منذ تأسيس الجماعة وإن لم يتم نطق الاسم صراحة. وكلنا يذكر حرص الجماعة فى مصر على أن تكون هناك ضحايا فى فض الاعتصامات الإرهابية لاستغلال ذلك سياسيا!

إذن هذه المكونات الشخصية الرئيسية لحاكم غزة وحماس ومتخذ قرار هجمات السابع من أكتوبر(دراسة أو تعليم فقير ثقافيا منغلق فكريا- اعتناق أفكار دينية شديدة التطرف- السجن أشهر وسنوات- الهوس بأنه محاط بالخونة- اعتقاده بامتلاك الحق فى قتل من يشتبه فى ولائه- يقينه بإمكانية تكرار سيناريو خروجه من السجن- تأثره رغما عنه بأدبيات ومفردات الخطاب الدينى الشيعى البكائى!).

> اعتقد السنوار أن سيناريو خروجه من السجن فى صفقة شاليط يمكن تكراره لو كان لدى حماس أكثر من شاليط

الآن نأتى للسؤال الصعب الذى لا يريد أحد الاقتراب منه.. هل يحيى السنوار- بهذه المكونات والخريطة الفكرية والنفسية، وبما تعرض له من سجن واعتقال وقطعا من تعذيب نفسى أو جسدى- هو شخص لائق طبيا ونفسيا وأخلاقيا لتبؤ أى مناصب قيادية بصفة عامة، وهل هو لائق بصفة خاصة لأن يكون مسئولا عن اتخاذ قرارات مصيرية حاسمة تتوقف عليها حياة أكثر من مليونى إنسان؟!

ماذا يقول الطب النفسى عمن تعرضوا لتجربة السجن والاعتقال والتعذيب النفسى أو الجسدى بصفة عامة، وعن الفلسطينيين بصفة خاصة؟

قطعا لا يجرؤ أحد فى قطاع غزة أو فى أى أراض فلسطينية أن يذكر اسم أحد من هؤلاء القادة الذين كانوا ضمن من تعرضوا لهذه التجربة وما ألحقته بهم من تشوهات نفسية تجعلهم غير لائقين لمراكز القيادة، لكن هناك مراكز فلسطينية أخضعت آخرين للبحث الطبى النفسى وخرجت بنتائج علمية لا تقبل الشك. عالميا وبصفة عامة تقول الدراسات (إن هناك تأثيرا نفسيا تنتج عنه اضطرابات نفسية تظهر بسلوكيات وعوارض عدة؛ كالغضب والقلق والإحباط والشعور بالدونية وفقدان قيمة الذات وتزايد الأفكار بالانتقام. ويعزز حالة النقمة على المجتمع وحالات التدمير الداخلى)، وفى بعض الأحيان يظهر الشخص المتعرض للتعذيب تعاطفا مع جلاده أو يخرج أسيرا للوسوسة، وعدم القدرة على مواجهة الأزمات والمواقف المحبطة، وانعدام الأمل بمستقبل مشرق، وقبول أي فكرة حتى إذا كانت منافية للمنطق حيث يتعرض الشخص للدخول فى منطقة ضبابية من الإدراك.

وفى السجون الإسرائيلية عمدت إسرائيل إلى وضع جواسيس داخل السجون يدعون أنهم ينتمون للمقاومة وينقلون الأسرار للمحققين؛ بما يقود لأن يصبح السجناء أسرى لفكرة عدم الثقة فيمن يحيط بهم.

فلسطينيا فلقد نشر المركز الفلسطينى للإرشاد دراسة بعنوان تأثير التعذيب على الصحة النفسية للأسرى الفلسطينيين. وأعتقد أن ما ورد بها يتصف بدرجة كبرى من الأهمية فيما نحن بصدده. تعرّف الدراسة التعذيب بأنه (تسبب مقصود لمعاناة جسدية أو نفسية بشكل عفوى أو منظم على يد شخص أو أكثر، يفعلون ذلك لوحدهم أو بأوامر سلطة ما من أجل إجبار شخص آخر لتزويدهم بمعلومات أو شهادات أو أى شىء آخر) وهو التعريف الدولى للتعذيب، وهذا يعنى أن رجلا فى أهمية السنوار قد تعرض حتما لما ورد به.

تخلص الدراسة إلى أن هناك تأثيرات طويلة الأمد تبقى مع الأسرى الفلسطينيين تسمى (متلازمة التعذيب) وهى اضطرابات نفسية مزاجية سلوكية وذهنية. والأعراض الأكثر انتشارا هى (آلام الرأس، كوابيس، اضطرابات النوم، عنف، اضطرابات اندفاعية، فوبيا، قلق، غضب، عدائية، تقليص مجال المشاعر، الإحساس بعدم وجود مستقبل، انفجارات فى الغضب، الانفصامية، ازدياد الأفكار السلبية عن العالم والنفس). وخلصت الدراسة على العينات إلى أن غالبية الأسرى السياسيين يعانون ٧ أعراض على الأقل! والأهم أن نتائج البحث طبقت على عشرات من الفلسطينيين الذين قضوا أكثر من ثلاثة أشهر فى المعتقلات والسجون الإسرائيلية. وخلصت الدراسة إلى حاجة الخارجين من السجون إلى إعادة تأهيل نفسى فقط لمجرد مواصلة الحياة وليس لتبؤ مناصب قيادية!

حين نضع حقيقة أن السنوار لم يخضع لأى إعادة تأهيل نفسى بعد سنوات قضاها فى السجون الإسرائيلية، حيث تولى بمجرد خروجه مناصب قيادية مهمة وصلت لكونه حاكم قطاع غزة، يمكن أن نتتبع سلوكه السياسى منذ السابع من أكتوبر ونضع هذا السلوك فى ميزان التقييم الطبى النفسى.

وأول قراراته وهو قرار الهجمات ذاتها- إن افترضنا عدم التآمر بشكلٍ مباشر- هو قرار يمكن وصفه بسهولة أنه مختل نفسيًا. يتميز بانفجار فى الغضب، والانفصامية عن الواقع، ومدفوعٌ فقط بفكرة الانتقام الشخصى، والهوس بفكرة غير واقعية، وهى أن إسرائيل ستبادر على الفور بالموافقة على إطلاق سراح الأسرى من حماس مقابل الرهائن. وهو قرار لم يضع فى حسبانه فكرة المشاعر تجاه أهل غزة وما يمكن أن يلحق بهم من أذى وعدوان.

ثم توالت المشاهد بعد ذلك لتؤكد أن السنوار مصاب حقا بعدة أعراض مما سبق ذكره. ففى كل توقعاته لرد الفعل الصهيونى فى كل مرحلة من مراحل العدوان كان منفصلا عن الواقع، وتوقعاته خاطئة تماما وأقرب للمقامرة بحياة

السنوار فى الميزان

ميزان أهل غزة.. ميزان الطب النفسى.. ميزان القيم الأخلاقية والدينية

مليونى مواطن. فلم تخرج توقعاته عن تصريحات مثل (رحلة إسرائيل فى رفح لن تكون نزهة فى الحديقة).

وحين حددت إسرائيل فى فبراير الماضى موعدا نهائيا لتسليم الرهائن أو مواجهة هجوم برى فى رفح، حث السنوار قادة الجماعة على (عدم تقديم تنازلات والضغط من أجل وضع نهاية دائمة للحرب!).

وفى مرحلة مبكرة جدا من العدوان بدا فى رسائله لمفاوضى حماس أنه منفصل عن الواقع الفلسطينى تماما، حيث يقول (لقد خرجت الأمور عن السيطرة)! وعن احتجاز الرهائن المدنيين، قال (لقد وقع الناس فى هذا الأمر وما كان ينبغى أن يحدث ذلك)!

كما تبين سوء توقعه للدعم الذى توهمه من إيران وميليشيات حزب الله وبدا محبطا تماما بعد سفر هنية والعاروري لطهران فى نوفمبر الماضى واجتماعهما مع آية الله خامنئى، حيث قيل لهما (إن طهران تدعم حماس، لكنها لن تدخل فى الصراع!) وظهر سوء توقعه فى سرعة إسرائيل فى تفكيك قدرات حماس العسكرية، وربما ما أطال أمد المقاومة هو وقوف باقى الفصائل الفلسطينية أمام عدوان إسرائيل!

التجرد من المشاعر ظهر جليا فى سلوكه وقيادته تفاصيل المواجهة.. ففى رده على ارتفاع عدد ضحايا المدنيين الفلسطينيين قال (إن هذا سيخلق ضغوطا على إسرائيل، وإن الجناح المسلح للجماعة كان جاهزا للهجوم الإسرائيلى على رفح، وطالما أن المقاتلين ما زالوا صامدين ولم نخسر الحرب، فيجب إنهاء هذه الاتصالات على الفور!) وكشفت رسائله فى يونيو الماضى إلى أعضاء المكتب السياسى بأن المزيد من القتال والمزيد من الوفيات بين المدنيين يصب فى مصلحته! وقال نصا (لدينا الإسرائيليون حيث نريدهم!) وذلك فى رده على مسئولى حماس المتفاوضين مع الوسطاء. كان دائما ينظر إلى ما يمكن أن تخسره إسرائيل كمقياس لانتصاره! ففى إحدى رسائله الموجهة لقادة حماس أشار إلى الخسائر المدنية فى صراعات بدول مثل الجزائر، حيث مات مئات الآلاف من الأشخاص وقال (هذه تضحيات ضرورية)! (إن مقتل الفلسطينيين سيبث الحياة فى عروق هذه الأمة ويدفعها نحو الارتقاء إلى مستوى أعلى من مجدها وشرفها!).

مما سبق يظهر جليا أننا أمام شخص مضطرب نفسيا يعانى بالفعل متلازمة نفسية اسمها الآثار النفسية لما بعد الخروج من السجون والتعرض للتعذيب النفسى أو الجسدى. وكان من المفترض أن تتم إعادة تأهيله نفسيا وأن يتم إبعاده عن منصب الرجل الأول فى قطاع يسكنه أكثر من مليونى إنسان!

قد يقول قائلٌ إن مثل هذه القرارات تؤخذ بشكل مؤسسى ولا يمكن أن يكون هو بمفرده مسؤلا عنه. والواقع فقد فندت قيادات الحركة ذاتها هذا الطرح فى أكثر من مناسبة. تحدث خالد مشعل عن أن القرارات الميدانية يتخذها قادة الحركة فى القطاع بما يوائم ظروفهم.

ويبدو أن قرار السنوار بشن هذه الهجمات كان يتفق مع هوى قيادات الخارج الذين كانوا غارقين لأذقانهم فى السير فى الركب الإيرانى. كما يبدو أن السنوار يسيطر على القطاع بشكل قوى قبل السابع من أكتوبر وهو صاحب القرار الفعلى، حتى حين أرادات قيادات الخارج فى مرحلة لاحقة الخروج من عباءته واتخاذ قرارات عكس ما يريد، كان رده على الأرض هو إفشال أى خطوة لا تتفق ورؤيته. كان يتصرف تماما مثل نتنياهو وكأنهما اتفقا ضمنيا على عدم السماح بوقف العدوان قبل أن يحقق كلٌ منهما ما يعتقد أنه نصرٌ حاسم!

> إن مصالح حماس تلتقى مع مصالح نتنياهو فى الرغبة فى المحافظة على السلطة وأن الشعب الفلسطينى أُخذ رهينة لتحقيق هذه المصالح

لدينا شهادة مهمة صاحبها هو جهاد الحرازين أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأزهر فرع غزة. يقول فى شهادته المنشورة بتاريخ الشهر الماضى...

(إن مصالح حركة حماس تلتقى مع مصالح نتنياهو فى الرغبة فى المحافظة على السلطة. وأن الشعب الفلسطينى أُخذ رهينة لتحقيق مصالح ومكاسب شخصية لحركة حماس حتى تستمر فى حكمها لقطاع غزة وتستمر فى الشعارات التى ترفعها، وبالمقابل فقد استفاد نتنياهو من هذا الأمر ولا يزال يواصل الحرب حتى تحقيق أهدافه. نتنياهو لن يوقف الحرب طالما هناك فارق فى استطلاعات الرأى المتعلقة بالانتخابات الإسرائيلية حتى يستطيع استعادة ثقة الناخب ويعود مرة أخرى إلى الحكم.

حماس لم تتحدث عن الوحدة الجغرافية بين الضفة وغزة، لأنها تعمل لمصالحها الخاصة التى تلتقى مع مصلحة اليمين المتطرف الإسرائيلى الذى يبحث عن إمارة فى غزة لا عن دولة فلسطينية...).

وأشار إلى أن (ارتهان الحركة للمحور الإيرانى والإخوانى والتركى يجردها من كونها حركة تحرر وطنى. كل رهاناتها فشلت وهى تقود الشعب الفلسطينى بعيدا عن المصلحة الوطنية، ما يجعل الشعب يدفع الثمن وتدمر مؤسساته وأحلامه فى مقابل جنى الحركة للأموال..).

كيف يرى أهل قطاع غزة قرار حماس المسئول عنه رئيسها بالقطاع يحيى السنوار بشن هجمات السابع من أكتوبر بعد مرور ما يقرب من تسعة أشهر؟

حماس متهمة الآن بتتبع وتصفية أى مواطن من القطاع يثبت عنه توجيه نقدٍ لها فى وسائل الإعلام. وهناك منذ أيام قليلة واقعة لشاب فلسطينى بث مقطعا يدين حماس ويكَذب ما يتم بثه على شاشة قناة الجزيرة تحديدا، ثم بعدها بأيامٍ تم بث مقطع آخر لنفس الشاب بعد تصفيته وآثار تعذيب على جسده، واتهم ذووه عناصر حماس بتتبعه وقتله. فى هذه الأجواء ومنذ حوالى أسبوعين، كان هناك ما يمكن اعتباره استبيانا عفويا لاستطلاع رأى أهل قطاع غزة قام به أحد الفلسطينيين. وأهمية هذا الاستبيان هو مباغتته وعفويته وعدم حذف أى رأى عبر عنه أحدهم. وأهم ما به هو ما جاء فى الساعات الأولى من بثه قبل الانتباه إليه.

ومعنى أن يكشف فلسطينيون عن هوياتهم وهم يعبرون عن آرائهم الصادمة قطعا لحماس، وهم يعرفون أنه قد يتم تتبعهم ومعاقبتهم كما قال بعضهم ذلك صراحة، معنى ذلك هو وصول أهل القطاع لمرحلة يأس كبرى أصبح يتساوى معها أن يلقوا الله على أيدى عناصر حماس أو بضربات الاحتلال الصهيونى!

بعد قيامى بإحصاء عدد من شاركوا، هناك ثمانية من بين كل عشرة ممن شاركوا قاموا بمهاجمة حماس بشدة وعنف أحيانا واتهموها صراحة بالخيانة والعمل على تسليم القطاع لإسرائيل، بينما عبر اثنان فقط من العشرة عن تأييدهما حماس وهجمات السابع من أكتوبر ورأيا ذلك من زاوية إسلامية شعبوية أقرب لرؤية حماس ومن يهتف لها من غير الفلسطينيين. اشتملت عبارات المهاجمين على عنف لفظى شديد وألفاظ سباب خارجة لن يكون ممكنا لى إرفاقها هنا. لكننى سأكتفى بنماذج أخرى تحتوى ألفاظا أقل عنفا وحدة.. كان السؤال الأوحد هو كيف ترون السابع من أكتوبر؟!

يقول خ. أبوسلطان.. (آخر طلقة فى خاصرة القضية الفلسطينية يعوض الله علينا)

أ.عابد.. (أكبر عمل خيانى مغلف بالبطولة والشجاعة)

م. أبوالروس.. (مخطط لتصفية القضية الفلسطينية)

وفاء.. (أسوأ حدث مر علينا لأن من يوم سبعة أكتوبر فقدنا الحياة)

سندس.. (يوم أسود.. يوم ما جماعتنا سلمت بلدنا على طبق من ذهب لأعدائنا ع حساب القضية والشعب)

م. أبونصر.. (دُمرنا وأخد كل أحبابنا)

ديانا.. (الله ينكب اللى كان السبب به اليوم شو حققنا إيش استفدنا ضيعنا كل شىء كان معانا ضيعنا الشعب

السنوار فى الميزان

ميزان أهل غزة.. ميزان الطب النفسى.. ميزان القيم الأخلاقية والدينية

والبلد وقضينا على القضية.. راح الشجر والحجر والبشر حسبى الله ونعم الوكيل اللى خطط ونفذ كنا عيشين جروا ع نكبة الناس.. ضيعونا لخمسين سنة جاية لولد الولد ما راح نرفع راسنا الله ينتقم منهم ٧ أكتوبر الأسود)

شيرين.. (اختفووووع أبو هاد اليوم)

ح. أبوعون.. (دمرونا جوعونا رجعونا ٧٠ سنة لورا)

ح.. (يعنى كيف ظبطت معك تسأل واحد قاعد بخيمة عن يوم كان سبب خروجه من بيته)

ب. كمال.. (نكبة علينا أكثر من فوائدها وخاصة إنك مش ابن تنظيم) يقصد لا ينتمى لحماس.

فيروز.. (الله يغضب ع صاحب الفكرة ويعيشه أضعاف اللى احنا عايشينه)

بادير.. (أسوأ أيام مرت على القضية الفلسطينية بأكملها النكبة، انقلاب ٢٠٠٧ ثم ٧ أكتوبر) يقصد بالانقلاب يوم سيطرة حماس على القطاع بقوة السلاح

عمر.. (يوم رائع!)

أ. سلطان.. (جبرونا نكون أضاحى بالمسالخ الوطنية لأهدافهم الشخصية أو السياسية إلى صغيرنا قبل كبيرنا يعرفها)

غسان.. (يوم كان مفاجئا لإسرائيل ولحماس أيضا كلنا فرحنا يومها ولم يحسب حساب ما بعده)

رحيم.. (مخطط ممنهج من الشاباك بالشراكة مع متخذ قرار الطوفان) هذا هو رأى أهل قطاع غزة، وهو تقريبا أول استبيان رأى موسع لا يخضع لحسابات قنوات تليفزيونية. وما أوردته من نماذج هو أقل ما كُتب حدة وأقلها عنفا لفظيا. باقى الآراء تعبر عن نفس الفكرة لكنها تحتوى سبا مباشرا لقيادات حماس!

كيف يتم تقييم سلوك السنوار منذ بدء اتخاذ القرار حتى الآن من الناحية الدينية والأخلاقية؟

بعيدا عن النسخة الإخوانية من الإسلام، وهى نسخة مشوهة بها افتراءٌ كبير على هذه الديانة السماوية، وهى نسخة زائفة سوقتها جماعة سياسية قررت امتطاء هذه الديانة سياسيا، يمكن القول باطمئنان أن ما قام به السنوار ورفاقه يتعارض تماما مع ما ذُكر تاريخيا عن سلوك النبى (ص) فى السلم والحرب.

فقبل هذا القرار كانت هناك مدينة اسمها غزة بدأنا اليوم نطالع آلاف الصور لشوارعها وسواحلها وبناياتها. كان هناك أكثر من مليونى شخص يعيشون هناك. نعم كانت هناك معاناة وصعاب، لكن الدول المجاورة وعلى رأسها مصر لم تتركهم فرادى، وكانت تمد لهم دائما شرايين الحياة. وكان هناك مسار سلام تفاوضى ترتب عليه عودة عشرات الآلاف من الفلسطينيين، وترتب عليه وجود علم فلسطينى وجواز سفر وأمل فى أن يتم استكمال هذا المسار. وكان هناك عشرات الآلاف يعملون بوظائف وتقوم السلطة بدفع رواتبهم بالتنسيق مع الحكومة الإسرائيلية. كانت تدخل القطاع- حسب اعترافات قيادات حماس نفسها بعد بدء العدوان- يوميا أكثر من ألف شاحنة تجارية. ثبت أن ما كان يتم ترديده وقتها عن الحصار لم يكن حقيقيا! لكن كانت هناك مفردة مهمة أرقت قيادات حماس ومنعت عنهم موردا مهما، وهى قيام القوات المسلحة المصرية بعمل مشروع تماما وهو القضاء على أنفاق التهريب وبيزنس الأنفاق!

> قامت حماس باختطاف مدنيين ونساء وأطفال واستفزت العدو الذى تعرف أنها كحكومة غير قادرة على مواجهته على الأرض

والسنوار لم يكن مشغولا لا بالقطاع ولا بأهله ولا بهذه الحياة والاستقرار الذى ينعم بهما الفلسطينيون فى القطاع، وإنما كان مشغولا فقط بالانتقام الشخصى، وتحرير أعضاء جماعته، وتنفيذ رغبات إيران ولية النعم الجديدة، و(تحريك المسائل) لجنى أموال تعوض ما فقدته الجماعة من بيزنس الأنفاق الحرام! فى غزوات النبى (ص) كان صارما فى عدم الاعتداء على غير المحاربين. فى هجمات السابع من أكتوبر تم اختطاف نساء وأطفال ورجال مدنيين من غير الجنسية المحاربة فى مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام. لم يخرج كل مقاتلى حماس فى مواجهة مسلحة، إنما قاموا بما نهى النبى (ص) عنه صراحة فى عبارة لا تحتمل التأويل فى تعليماته لأحد الصحابة الذى سيقوم بمفاوضة الأحزاب ومحاولة تفكيك تحالفهم، حيث أمره النبى قائلا ما معناه.. لا تحرضهم أو تستفزهم علىّ!

قامت حماس بعكس تعاليم النبى (ص).. قامت باختطاف مدنيين ونساء وأطفال، واستفزت العدو الذى تعرف أنها كحكومة غير قادرة على مواجهته على الأرض وغير قادرة على حماية من تحكمهم من عدوان يقينى بعد هذا الاستفزاز. قامت بإخفاء من اختطفتهم فى كتل سكنية أصبحت هدفا للقتل والحرق. نصبت صواريخها بين كتل سكنية.. لم توفر حماية لا لأطفال ولا لنساء واكتفت بتوفير تلك الحماية للمقاتلين فى معارضة أخرى صريحة لكل تعاليم الإسلام ولما قام به النبى (ص) فى غزوة الأحزاب حين وفر ملاذا آمنا للنساء والأطفال وغير المحاربين!

لم يأبه السنوار بدماء الشعب الفلسطينى وكان تفكيره المهتز والمضطرب نفسيا لا يبالى إلا بما ستتكلفه إسرائيل من خسائر، بل وبدا وكأن سقوط عشرات الآلاف من الأبرياء يصب تماما فى مصلحته!

إننى أعتقد أن ما قام به السنوار لا علاقة له بجهاد أو مقاومة. هو إما أن يكون خيانة تامة متفقا عليها، وإما أن يكون جنونا خالصا، وجريمة مكتملة الأركان، بدأت حين تم وضعه فى موقع ومسئولية غير مؤهل لها نفسيا ولا أخلاقيا.

فالأخلاق هنا هى النخوة التى توجب على القائد أن يحمى شرف نساء من يدعى أنه يقاوم من أجلهم. لقد اتسم سلوكه السياسى بعدم النخوة، والانسلاخ من القيم الأخلاقية البشرية الطبيعية. لم يأبه لفكرة تشرد نساء القطاع ونومهن فى العراء يعانين القتل والجوع ويرين قتل أطفالهن أمام أعينهن. أى قائد شعبى شريف لا بد أن يضع أولا هدف حماية النساء والأطفال مقدما على أى مكسب سياسى أو عسكرى. أى قيم إنسانية لقائد يتحلى بالحد الأدنى من الأخلاق تفرض عليه أن يكبح جماح نفسه افتداءً لأطفال قومه لا أن يقوم صراحة بفعل عسكرى لا يخرج عن وصف استعداء العدو على هؤلاء الأطفال! مئات الكيلومترات من الأنفاق كانت تكفى تماما لقيام الحركة بتخزين مؤن وأدوية كافية لأمد المعركة. وهذه المئات من الكيلومترات كانت تكفى حصنا آمنا للأطفال والنساء أو لأكبر عدد منهم!

إننى أعتقد أننا أمام جريمة أخلاقية كاملة.. بدأها السنوار وشاركه فيها كل من وافق على جنونه.. وفى ذروة الذبح والقتل شارك فى الجريمة إعلاميون ومنصات وقنوات إعلامية.. الذين كانوا يهللون قبل بدء العدوان لما حدث ويساهمون فى استفزاز العدو على قطاع مجرد من الحماية الجوية من مذيعين ومحللين عسكريين هم مشاركون فى هذه الجريمة الأخلاقية. يجب أن تتم محاكمة هؤلاء أخلاقيا يجب ألا نتناسى ما حدث فى يومى السابع والثامن من أكتوبر! فى هذين اليومين تحولت قنوات بعينها إلى منصات للتحريض لشعوب دول أخرى مثل مصر على تخريب أوطانها. طنطنوا كثيرا عن النصر المبين الذى حققته الهجمات وأعلنوا كامل استعداد الحركة لأى هجوم تقوم به إسرائيل وأأمن على إفكهم قيادات الحركة ذاتها وهم يعلمون أنهم كاذبون وأن الثمن سيكون باهظا من دماء من استيقظوا من نومهم على المقتلة! الشاب الذى قامت حماس بتصفيته مؤخرا حسبما تم بثه، كل ذنبه أنه كشف الأقنعة عن بعض هؤلاء وحدد اسما معنيا قام بدور مشين ويصف نفسه بالمحلل العسكرى.. هذا الشاب أدان قناة عربية بالاسم لأنها كانت بطل المشهد فى هذين اليومين وقامت بتضليل الشعوب العربية!

د. أحمد الخميسى

الصور التى لم نرها.. الأقوى فى الذاكرة

من العجيب أن يؤدى إخفاء الشىء إلى سطوع صورته التى لم نُبصرها، وأن تصبح تلك الصورة هى الأشد وضوحًا وجلاءً فى الذاكرة، ومثال ذلك أنه عندما رسم ناجى العلى صورة «حنظلة» الشهيرة، جعلنا لا نرى وجه الطفل الذى أدار ظهره للدنيا غاضبًا معاتبًا، وجعلنا لا نرى وجه الطفل، ومن ثم يطلق كل منا خياله فى تصور عذاب الطفولة، وبذلك سطعت صورة حنظلة إلى الأبد بإخفاء ملامحه وليس بإظهارها.

خطر لى ذلك مع حلول ذكرى اغتيال ناجى العلى فى مثل هذا الشهر منذ ٣٧ عامًا، وبرقت معه صورة حنظلة. وقد لا يتذكر الكثيرون مئات اللوحات التى رسمها ناجى، لكن الوجه المخفى الذى لم نره يظل الأبقى فى الذاكرة. الإخفاء وليس الإظهار هو ما لجأ إليه من قبل المخرج فيكتور فليمنج عندما حول فى عام ١٩٣٩رواية «ذهب مع الريح» إلى فيلم، وذلك فى المشهد الذى تفجر فيه حزن «رت بتلر» زوج البطلة عند وفاة طفلته الوحيدة، فقد ارتأى المخرج أن أفضل وسيلة لإظهار أحزان الأب العميقة ليس تصوير وجه الأب، لكن بإخفائه، وجعله فى غرفة منعزلة فلا نراه، ومن ثم يطلق خيالنا فى تصور ألمه وعذابه، وبذلك بقيت الصورة غير المرئية أقوى سطوعًا فى الذاكرة، وأشد تأثيرًا من دموع تجرى أمام عينيك.

ولنضرب مثالًا آخر، فنحن عادة ما نتذكر الحروب بصورها القاسية، خاصة حرب الإبادة التى تشن على غزة، نتذكر صور الأطفال الذين يحتضنون ويواسون بعضهم بعضًا، لكن حدث منذ أيام قليلة أن التقيت فى مقهى شعبى بمدينة نصر صديقًا مصريًا جاء وبصحبته شاب فلسطينى، نزح من غزة إلى القاهرة منذ شهور. وتطرق الحديث إلى بربرية الكيان، وصور الشهداء، وبطولة الأحياء، ولم يكن فى كل هذا جديد بالنسبة لى، لكننى توقفت بذهول حين قال لى الشاب بهدوء شديد: «تصور حضرتك انقضت ثلاثة أشهر وأنا أعيش فى القاهرة، لم يعد موت يهددنى، ولا قنابل، نعم.. لكن إذا حدث أن سمعت وأنا أعبر الشارع فرقعة موتوسيكل يعبر بالقرب منى، فإننى أرتجف دون وعى، ويخيل إلىّ أننى ما زلت فى الحرب، وأن تلك فرقعات القنابل التى تحصدنا، فأجدنى بشكل تلقائى أنحنى وأطوق بدنى بيدىّ الاثنتين لأحمى نفسى من الموت».

هكذا تطل من الحرب أقوى صورها، الصور التى لم تحدث فى الحرب، لكن فى السلام! وتظهر حرب الإبادة بقوة مع إخفاء الحرب وليس إظهارها. وبالرغم من نذالة الحرب ودناءة المجرمين، يظل وجه حنظلة المخفى يجوب العالم، بكل الألم الذى لم نره، وهو يحمل حقيبته متجهًا إلى المدرسة تحت القصف، يفتش فى الدروب عن أمل، ويبقى وجهه الذى لم نره أشد سطوعًا فى الذاكرة والتاريخ وفى النصر القريب.

> هكذا تطل من الحرب أقوى صورها، الصور التى لم تحدث فى الحرب، لكن فى السلام

الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ٢٨ يوليو ٢٠٢٤ ٢٢ محرم ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 02

د. صفاء النجار

جراجات شاطئية تطعن عقلى

ساعة وأنا أقف متجمدة، أتابع من شرفة فندق إقامتى بالإسكندرية فى سابا باشا، اصطفاف عدد من السيارات فى انحناءة بيضاوية داخل لسان صناعى يمتد داخل البحر، شبه جزيرة صناعية من الصخور الخرسانية المسلحة، عند نادى المهندسين، جهد بشرى مبذول، وتحدٍ للطبيعة وأموال مصروفة من أجل تحويل الشاطئ إلى جراج لركن السيارات.

أيها المهندسون إذا انعوجت مسطرة حرف «تى» فأى مسطرة يمكنها أن تستقيم؟!

ما أعرفه أن تكون الجراجات تحت الأرض، أسفل العقارات، أماكنها الشوارع الخلفية، أن يتم تحويل أثمن وأغلى بقعة فى المدن الساحلية وهو الشاطئ فهذا بالنسبة لى العبث الكامل، التجلى المبهر للامنطق، وأن يكون هذا الاستخدام تحت سمع ورعاية نادى المهندسين، المهندسين، البناءين، خريجى كليات الهندسة، المسطرة على شكل حرف تى، نظريات فيثاغورث، حساب المثلثات، المنطق، الهندسة الفراغية، ويوافقون على هذا العبث، ومن أجل أى شىء؟ من أجل زيادة الموارد للنادى؟ للمحافظة؟ طيب يا جماعة ممكن: إذا كانت الحكاية الفلوس الفلوس، الموارد، الموارد ما نزرع المخدرات، ونهرب آثار، إيه الفرق؟، التشريعات القانونية؟ تشريعات إيه؟ ما التشريعات تشريعاتنا والقوانين قوانينا، ومن لا يحترم قوانين البيئة والحق فى المنفعة العامة، من لا يحترم أسس الهندسة وفلسفة الجمال علنًا وبفجاجة أمام الجميع، ماذا يفعل فى الخفاء؟، يالله تبرق فكرة فى ذهنى معقول! لا أحد يعترض لأن الوضع الذى أراه معيبًا جماليًا وهندسيًا وكيميائيًا و.. يشبع هوى فى النفس، يدغدغ رغبات الامتلاك والاستحواذ والتميز عن بقية خلق الله، أنا أدخل النادى بسيارتى وأركنها فى أميز بقعة داخل البحر، ومن أجل هذا التمييز يمكن التغاضى عن المنطق والصواب. ويمكن أن نعمم التجربة وننشرها فى أكثر من منطقة بطول الكورنيش، وتتحول الشواطئ من أماكن للمرح والتنفس والاصطياف إلى جراجات للسيارات، والمبررات جاهزة.. الموارد.. الموارد، تختفى معالم المدينة تتشوه، بكافيهات ومطاعم وكتل خرسانية تخنق البحر، وتنشر رائحة الزيت المقلى للوجبات السريعة وتضيع رائحة اليود، تضيع الرائحة المنعشة التى اعتدنا أن تقابلنا نحن الغرباء القادمين من طريق قناة السويس بمجرد الصعود من النفق لنشعر بالفرق بين القاهرة المزدحمة والمتكدسة بسياراتها، والكتل الخرسانية لكباريها وأكشاكها التى حولت قلب الميادين الأنيقة إلى أسواق شعبية يقف المواطنون المنهكون فى طوابيرها طلبًا للسكر أو الأرز أو اللحم.. وكأنه لا فكاك من العشوائية وقبح تصدير البقالة والزيت والجزارة والكتل الأسمنتية الرمادية التى تحاصر القاهرة وتخنقها، فتصدمك الإسكندرية وتلطمك على وجهك بهذا الوجه القبيح المشوه، لبحر طالما سحرنا، وشواطئ طالما تغنينا بها.

وصلت الإسكندرية للمشاركة فى ندوات معرض مكتبة الإسكندرية للكتاب، حدث ثقافى مهتم يحتاج الدعم والتشجيع، التقيت مبدعين سكندريين.. شبابًا وأطفالًا.. فرح حقيقى وأمل متجدد، اعتزمت الكتابة عنه، كما صوت حلقة من برنامجى أطياف حول فعالياته..

ولكن اعذرونى فمنذ وصلت المدينة وأنا أفتقد رائحة البحر، أفتقد رؤية البحر مباشرة فى كثير من مناطق الشاطئ وتمتلأ خلايا الشم عندى برائحة «زفرة» رائحة نفايات وصرف صحى، رائحة استهلاك وصخب وسفه، أنكرت الأمر للوهلة الأولى، أنا أحب الإسكندرية، وما أراه تهيؤات بسبب إجهاد السفر، لكن إطلالة من شرفتى وحركة سيارات تتراص على محيط قوس بيضاوى وأمواج ترتطم بصخور خرسانية، وتنشر رذاذها على زجاج السيارات، أفسد صباحى وإحساسى بالفرح بفعاليات المعرض، فما فائدة الثقافة إذا لم تجعلنا نُقدر مواطن الجمال ونرفض كل صور القبح، ما فائدة الثقافة إذا لم تنقل لنا قصة الطفل الذى لم يخرس التلوث لسانه، وصاح الملك عار.. والله الملك عار والتاجر الذى وسوس بالفكرة عار، والمهندس الذى نفذ عار، كلهم عراة، كلنا عراة، ولا يوجد قماش يستطيع أن يغطى هذا العوار، لا يوجد كفن يستر الضمائر المتحللة، لا توجد مناديل معطرة تغطى الرائحة التى تزكم الأنوف.

أيها المهندسون إذا انعوجت مسطرة حرف «تى» فأى مسطرة يمكنها أن تستقيم؟!